الموقف التنويري لجمعية العلماء المسلمين في ميدان التعليم ونقدها لسياسة التعليم لفرنسا في الجزائر .

أ.د/ لعموري عليش
المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة

الملخص:

من المعلوم أن الاحتلال الفرنسي للجزائر لم يكن احتلالا نفعيا متجها نحو نهب خيراتها المادية من ثروات طبيعية فحسب، بل كان احتلال لفسخ ومسخ ونسخ الشخصية الجزائرية لكل مقوماتها الذاتية أو المعنوية التي ترتبط بمعنى الهوية أو الإنية التي يتميز بها إنسان مجتمع عن إنسان مجتمع آخر حتى ولو كان هناك قاسم مشترك يجمع بينهما مثل اللغة كمقوم قومي يربط عربي بعربي مثل الجزائري والتونسي والمغربي ومع ذلك فإن هناك هوية متميزة عند كل هؤلاء كفكرة الوطنية والذهنية التي يحملها كل واحد منهما حملا من دون شك مختلف وذلك لاختلاف التكوين على مستوى شخصياتهم التي يرثونها من أصالة بيئاتهم السلطوية، كسلطة الوطنية وسلطة الأبوة، وسلطة التعليم إلى غير ذلك من السلطات التي تميز المجتمعات الإنسانية في التربية وتتفاوت فيما بينها من حيث قوة سلطة عن سلطة أخرى .

لذلك أن سياسية الاستعمار الفرنسي لاحتلال الجزائر اختارت سلطة التعليم وأرادت من وراءه زوال الإنسان الجزائري والمجتمع الجزائري وجعلهما مكسبا من مكاسب ومغانم مقاصد الحرب، بل أكثر من ذلك حاولت أن تستنسخهما في صورتي الإنسان الفرنسي والمجتمع الفرنسي فقد وظف علماؤهم من فقهاء وسياسيين وأنتربولوجين وأثريين المنهج الأركيولوجي المعرفي " حفرية المعرفة " ووقفوا من خلاله على حقائق

تاريخية، تمثلت في زوال أمم وحضارات كانت لها أثر في التاريخ الإنساني الحضاري ولكنها زالت من الوجود بمفعول سلطة التعليم وأيضا سلطة الدين. وهذا ما جعل من الفرنسيين المحتلين للجزائر أن ينتهجوا سياسة الفرنسة والتنصير والإدماج في التعليم على الشخصية العربية الأمازيغية الإسلامية للجزائر بغرض محو هذه الشخصية والقضاء عليها، وقد وظفوا فيما بعد، بعد المقاومة والاكتشاف أن الأمر ليس سهلا للإنسان الجزائري الذي عايش كل الحضارات عبر التاريخ فأثر فيها ولم يتأثر وظفوا كل الوسائل السلطوية الإستدمارية لأجل محو هذه الشخصية

هذا ما جعل جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أن تقف في وجه فرنسا باستخدام الوسائل التي رأت أنها ناجعة في رفع السياسة الفرنسية وإلغائها، فحاربتها بتعليم مواز في التكوين المعرفي ومختف لسلطتهم الدينية واللغوية .وإني أتناول الموضوع ضمن خطة منهجية متمثلة في التخطيط العام كما يلي :

أولا: فرنسا والسياسية التعليمية .

ثانيا : جهود جمعية العلماء المسلمين في التعليم

ونظرا لتراكم المادة في الموضوع سأقتصر على دور الجمعية وسياستها في التعليم وبيان معاهدها ومقرراتها وعدد التلاميذ يحسب السنوات محاولا التعليق على مدى تجاوز السياسة الفرنسية في التعليم، ومدى تمكن جمعية علماء المسلمين حرصا ومحافظة على الشخصية الجزائرية وعلى اللغة العربية والدين الإسلامي .

فرنسا والسياسة التعليمية :

أولا : النسخ والاحتلال .

إن السياسة التعليمية التي انتهجتها فرنسا في الجزائر بدءا من تاريخ الاحتلال 1830م كان هدفها محو الشخصية القومية للجزائريين بكل

مقوماتها اللغوية والثقافية والدينية والحضارية، وكان هذا الهدف المرسوم من منطلق وضع المستعمر لمخططات ومشاريع وبرامج لتنفيذ سياسته على المدى البعيد والمتوسط والقريب ومنها برامج " مسيو موريس فبوليت " الذي كان وقتذاك عضو الحزب الاشتراكي الفرنسي والحاكم العام للجزائر في عام 1925 م حتى عام 1927 م الذي نص على منهج الجنسية الفرنسية إلى عدد من الجزائريين يتراوح ما بين عشرين وخمس وعشرين ألف جزائري ويشترط أن يكونوا من حملة الشهادات العليا، وكان أغلب هؤلاء يعملون وقتذاك في الإدارات والتعليم والجيش الفرنسي، مع العلم لم يلزمهم هذا البرنامج بعد كسبهم للجنسية الفرنسية أن يتخلوا عن أحوالهم الشخصية الإسلامية فقط يصبحون فرنسيين يخضعون للقانون المدني الفرنسي وما يتعلق بالأحوال الشخصية، كالزواج والطلاق والميراث فيطبق عليهم قانون الشريعة الإسلامية علما أن هذا البرنامج قد وجد معارضة من طرف الحركات السياسية الجزائرية وكشفت مجلة الشهاب أهداف البرنامج فقد ورد في أحد أعدادها ما يلي : ليس برنامج "فوليت" بالغاية في نفسه، وليس من البرامج الكاملة التي تغير حالة المسلمين (الجزائريين) من التعاسة الحاضرة إلى السعادة المنشودة وفوق ذلك كله فليس برنامج "فوليت" بالبرنامج الذي اتفقت حوله، الآراء بل أن الأفكار قد انقسمت في صدده طرائق قدادا، والمنكر عليه أكثر من المحبذ له، فمن المسلمين الجزائريين من يرى فيه دمجا مقنعا، ومنهم من يرى فيه عدم الكفاية مطلقا، لأن دمج كمية ضئيلة من المسلمين ضمن كتلة الناخبين الفرنسيين لا تغير نتيجة الانتخاب، ولا تجر للمسلمين أي مغنم، ومنهم من يرى أنه غير ديمقراطي مطلقا، فهو يمنح حق الانتخاب لطائفة معينة أكثرها من رجال الإدارة والحكومة، ويترك بقية الشعب محروما من الانتخاب ومنهم من يرى أن هذا البرنامج يزيد في الطبقات الجزائرية قسما جديدا وذلك يزداد الانقسام، ويكثر الشقاق، فتصبح البلاد مؤلفة من:

- فرنسيين
- متجنسين(جزائريين) مرتدين .
- متجنسين محافظين على الشخصية الإسلامية .
- أهال غير متجنسين مطلقا وليس لهم أي حق في الانتخاب . " [1]

هذا أن برنامج السيد فوليت، لم يقصد به تغيير وضعية الجزائر المتردية بقدر ما كان يهدف إلى خرابها، ومحاولة طمس كل شخصيتها وهذا ما جعل أغلب الحركات السياسية تنادي برفض هذا البرنامج، وقد كان قرار مجلس الشيوخ الفرنسي بعد مناقشة البر نامج عام 1935م رفض المشروع وذلك من خلال إدعائه أن الجزائريين لا يزالون غير مؤهلين للحصول على الجنسية الفرنسية التي تمنحهم حقوق المواطن الفر نسي وقد أعلن ذلك وزير داخلية فرنسا[2] كما أن عملية الدمج رفضها الجزائريون وذلك لسببين هما:

1- أن الجزائر تصبح جزء لا يتجزأ من تراب فرنسا .

2- يتحول الجزائريون أصحاب البلاد إلى مواطنين من الدرجة الثانية فهم يقومون بالواجبات التي يقوم بها الفرنسيين ولكن لا يتمتعون بالحقوق والامتيازات التي يتمتع بها المواطن الفرنسي في مجالات الحياة الاجتماعية والثقافية والسياسية وذلك لسبب رفضهم التنازل عن قوانين الأحوال الشخصية الإسلامية .

ثانيا: القتل والقضاء على ما يعرف بالجزائر والجزائري من طرف الاستعمار الفرنسي:

أحداث 8 ماي 1945 م وهي تعبر عن مذبحة كبرى وعن أكبر جرائم فرنسا التي لطخت تاريخها وقضت على روحه، ، حيث سببت هذه الأحداث

---

[1] - الشهاب، ج، 1 م 11 عدد أبريل سنة 1935/ ص 44 .

[2] - ينظر الجريدة الرسمية للجمهورية الفرنسية عدد 70 بتاريخ 13 مارس سنة 1935/ ص377 وينظر راتبح تركي التعليم القومي والشخصية الوطنية، ص، 74.

أن الجزائريين وقتذاك شاركوا العالم ككل فرحته بانتهاء الحرب العالمية الثانية " لكن سرعان ما انقلبت فرنسا عليهم " على الجزائريين الذين شاركوا في صنع التاريخ العالمي " كوحش انقض عليهم بما يملكه من قوة وجبروت على الرغم من أنهم قاموا بمظاهرات سلمية مثل بقية الشعوب وهتفوا بالحرية والاستقلال وإلغاء الاستعمار في كل دول العالم، ورفعوا العلم الجزائري في مظاهراتهم، حيث فرنسا، وقت ذلك، هذه الانتفاضة السلمية لم ترض الفرنسيين فقاومتهم ومنعتهم الشرطة الفرنسية بكل وحشية واستخدموا معهم كل أنواع وأساليب القمع، ثم تحول الأمر إلى إطلاق النار على المتظاهرين ثم تدخلت عصابات المستوطنين الأوربيين المسلحين بالأسلحة الحديثة إلى جانب الشرطة ثم بعد ذلك تدخل الجيش بأسلحته الثقيلة وخططه العسكرية الجهنمية وعدته البرية والبحرية والجوية، والغريب من هذا الهجوم على شعب عزل لا يملك قوت يوميه يعيش في العراء ويصارع الموت بجوعه واحتلاله. وهذا الشحن الغاشم والاحتلال الظالم والوحشية الجبارة والفتاكة أدت بأيام قليلة إلى قتل أزيد من خمسة وأربعين ألف جزائري وجزائرية، والآلاف من الجرحى والمعطوبين، وحرق الآلاف من السكنات وتشر يد أهلها في الوديان والشعاب والغابات كخطة للقضاء عليهم وسلب أموالهم وخيراتهم كغنيمة حرب، كل هذا كان في المدن الجزائرية ولكن الأكثر ضررا مدن خراطة، وسطيف وقالمة كما تذكر كتب تاريخ الحركة الوطنية

وفي هذا يقول الشيخ الإبراهيمي : "انجلت المعركة عن تلك الفضائح الوحشية التي تكفي لتلطخ تاريخ فرنسا بالسواد، من تحريق للديار وإتلاف للثمار ونهب للأموال، وتقتيل للرجال، وتذبيح للشيوخ والنساء والأطفال، وانتهاك للحرمات الإنسانية [1]. وقام الاحتلال بحل المنظمات الوطنية التي كانت قائمة وأصدر إعلان يتضمن العمل بالأحكام العرفية في الجزائر،

[1] - محمد البشير الإبراهيمي، البصائر، عدد 146 / 1950/ ص، 1 .

وسجن أكثر من أربعة آلاف من الجزائريين ممن كانوا يمثلون الجزائريين من رجال الحركة الوطنية، وقادتها وزعمائها، وأصدرت المحاكم وقتها في شأن بعض قادة الحركة الوطنية ورجالها أحكام بالإعدام ونفذن على أكثر من تسعين جزائريا، وحكم على البعض منهم بالأشغال الشاقة ([1]) ولكن لم يدم الحال على حاله إذ الضغط الدولي والعالمي، وتحرك الشعب الجزائري في كل مكان وإسماع صوته بكل الوسائل لفرنسا التي أصبحت الموت الذي يلاحقهم زمانيا، تراجعت في إعادة بناء سياستها حيث في بداية سنة 1945م أطلق سراح قادة الحركة الوطنية اللذين سجنوا بسبب أحداث 08 ماي ورفعت الأحكام العرفية من البلاد، ولجأوا إلى الحل السياسي للجزائر ومستقبل الجزائر وكان هذا تحت ضغط الحركة الوطنية، لكن محاولات فرنسا صبت كلها فيما بعد الرأي الذي بادرت به من قبل والمتمثل في سياسة الإدماج .

لكن قادة الحركة رفضوا ذلك، وطالبوا بتكوين حكومة جزائرية مستقلة استقلالا ذاتيا، وطالب بعض منهم بالاستقلال الكامل .

وكل ما فعلته فرنسا من خراب وتدمير وقتل لكل مقومات الجزائر، فإن خطة سياستها استمرت في تطبيقها منها سياسة التعليم .

السياسية التعليمية لفرنسا في الجزائر:

إن الأسس التي قامت عليها السياسة التعليمية الفرنسية في الجزائر منذ احتلال الجزائر من سنة 1830 إلى غاية 1962م تتركز على ثلاثة أهداف أو مقاصد وهي: الفرنسة . التنصير. والإدماج .

بهذه الأهداف أرادت فرنسا محو الشخصية الجزائرية من الوجود بالعمل على القضاء والزوال على مقومات حياتها واستمرارية ضرورتها في التاريخ والتي هي والأمازيغية والوطن والتاريخ والإسلام والعربية وقد كان

[1] - احمد توفيق المدني، هذه هي الجزائر، ص، 225.

موقف الشعب الجزائري لهذه السياسة ومقاومتها بالرفض والعزوف عنها بالكلمة والسلاح .

أولا: الفرنسة : أرادت فرنسا أن تجعل من الفرنسية وثقافتها مكان اللغة الأمازيغية والعربية وثقافتهما بمرور عامل الزمن في اعتقادهم بهذا التخطيط التربوي تزول لغة الجزائريين وثقافتها كما وقع في كثير من بلدان العالم التي احتلها الاستعمار فتغلبت لغة المستعمر وثقافته على لغاتهم وثقافتهم مثل شعوب القارة الإفريقية، ومعظم شعوب أمريكا اللاتينية، والهنود الحمر .وقد وضع الاحتلال الفرنسي برنامجا يحمل سياسة التعليم في الجزائر باللغة الفرنسية والثقافة الفرنسية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والإدارية وهذا بغرض جعل المجتمع الجزائري مجتمعا فرنسيا أو كما كان يقال الجزائر قطعة وجزء من فرنسا، فجعلت فرنسا اللغة الفرنسية وثقافتها في برامج التعليم بكل مراحله للجزائريين كسلاح سلمي في نظرها وبه يتحقق الهدف الذي تريده والمتمثل في جعل الجزائر فرنسية في كل مكوناتها وتجردها من كل عناصر مقوماتها الحضارية واللغوية والدينية والتاريخية ويمكن تلخيص الأهداف فيما يلي :

1 – فرنسة التعليم في الجزائر في كل المراحل .

2 – محاربة اللغة والثقافة العربية والأمازيغية محاربة عنيفة .

3- اعتبار اللغة العربية لغة أجنبية في الجزائر.

4- تشويه تاريخ الجزائر ومسخ وفسخ كل مقوماته الشخصية من أمازيغية وعروبة وإسلام .

5- فصل الجزائر عن الانتماء العربي الإسلامي أو عن العالم العربي والإسلامي.

6- عدم تدريس جغرافية الجزائر، والعمل على تدريس جغرافية فرنسا حتى تقتل فيهم الروح الوطنية في نفوسهم .

فكان هدف السياسة التعليمية الاستعمارية الفرنسية طمس الشخصية الجزائرية، وإحلال الشخصية الفرنسية .

التنصير : تريد فرنسا من وراء التنصير مسخ ونسخ وفسخ الشخصية الجزائرية المطبوعة بطابع الإسلام إلى شخصية نصرانية مسيحية فأرادت بالسياسة التعليمية أن تنقل الجزائريين من دينهم الإسلامي إلى الدين المسيحي وقد صرحت فرنسا بهذه السياسة غداة احتلالها للجزائر منذ 1830م بأن من أهدافها العمل على نشر المسيحية والقضاء على الإسلام حيث أعلن[1] سكرتير الحاكم العام الفرنسي للجزائر سنة 1832م بهذا الإعلان الذي مضمونه يحمل سياسة التنصير فقال : "أن آخر أيام الإسلام م قد دنت وفي خلال عشرين عاما لن يكون للجزائر إله غير المسيح ونحن إذا أمكننا أن نشك في أن هذه الأرض تملكها فرنسا، فلا يمكننا أن نشك على أي حال بأنها قد ضاعت من الإسلام إلى الأبد أما العرب فلن يكونوا رعايا لفرنسا إذا أصبحوا مسيحيين "

وقد أكدت فرنسا هذه السياسة في أكثر من مناسبة وعلى لسان ممثليها منها مناسبة احتفالهم بمرور مائة عام على احتلال فرنسا للجزائر قيل: أن المقصد من وراء هذه الاحتفالات هو في الحقيقة : " لتشيع جنازة الإسلام في الجزائر" ولم يتوقف الأمر بالعمل على تنصير الجزائريين فقط بل راحت تعمل على مسخهم بوساطة تحويل عدد كبير من المؤسسات الدينية من مدارس ومساجد إلى كنائس ودور للعبادة النصرانية، بل باعت بعضها إلى اليهود واستوطنتم في ربوع الجزائر كملاك لأراضيها ومرافقها الحيوية، علما أن فرنسا وضعت يدها في السنوات الأولى من الاحتلال على أوقاف الدين الإسلامي، بالرغم من المعارضة، والمقاومة التي كانت من طرف الجزائريين . بالإضافة أنها أصدرت في سنة 1905م مرسوما يدعو إلى فصل الدين عن

[1] - فرحات عباس، ليل الاستعمار، ص، 25، وينظر أيضا كتاب، عمر فروخ ومصطفى الخالدي " التبشير والاستعمار في البلاد العربية، " بيروت سنة 1953م، وينظر أيضا، راغ تركي، مرجع سابق، ص، 107 .

الدولة وعملت به في الجزائر عام 1907 م وطبقته على الدين المسيحي، والدين اليهودي، ولكن لم تطبقه على الدين الإسلامي بل بقيت شؤونه موقوفة على الحاكم العام الفرنسي على الرغم من إلحاح كثير من الجزائريين بتطبيق المشروع المذكور على الدين الإسلامي كما طبق على الديانتين المسيحية واليهودية [1].

وفرنسا حين احتلت الجزائر احتلتها في كل كيانها المادي والروحي، ونجد الشيخ البشير الإبراهيمي يقول عن هذا: "تسلط الحكومة الجزائرية (الفرنسية وقتذاك) على الإسلام بدءا وتمسكها به استمرار، ليس من حيث أنه دين يجب أن تحافظ عليه وعلى معابده وشعائره، ولكن ذلك لغاية أخرى غير المحافظة وهي أنها تعد ذلك جزءا من العمل الاستعماري، الذي يتسلط على الأبدان ثم نفذ التسلط على الأديان تكميلا لا يتم المعنى بدونه، فلما استعبدت أبدان المسلمين" أي " الجزائريين" مدت دينها وأبت عليهم أن يكونوا أحرارا فيه ليتم لهذا التسلط على الجانبين الروحي والمادي "[2]

الإدماج : ومعنى ذلك أن فرنسا أرادت بسياسة التعليم أن تحول كيان الجزائريين إلى كيان فرنسي، بمعنى أن تجعل الجزائري فرنسي في تفكيره وشعوره وقيمه وذاكرته وفي كل سلوكياته، فهو يفكر بمنطق لغتها وثقافتها فتسلخه وتمسخه من لغته ودينه وجنسيته من انتمائه الحضاري العربي الإسلامي، بمعنى أن تسلبه من قوميته وتسيطر على شخصيته سياسيا واجتماعيا وتتحكم فيه إداريا وعسكريا ومن ثم يكون القضاء على شخصيته تدريجيا حتى يذوب في الشخصية الفرنسية وبالتالي ينتهي المشكل ومفهوم الإدماج السياسي يعني: جعل الجزائريين سياسيا واقتصاديا، واجتماعيا

---

[1] - راجع تركي، مرجع سابق، ص، 109 .

[2] - البشير الإبراهيمي، فصل الدين عن الحكومة، عيون البصائر من ص 86 إلى ص 192، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر سنة 1970م وينظر راجع تركي، مرجع سابق، ص، 109 .

فرنسيين يتمتعون بالحقوق السياسية الفرنسية التي يتمتع بها الفرنسيون داخل بلادهم وخارجها، ويتلقون التعليم الذي يتلقونه، ويرقون إلى الوظائف العامة بالطرق ذاتها التي تحولها القوانين الفرنسية للفرنسيين كما أن لهم نفس الميزات الاجتماعية [1]

كما أن الإدماج يعني من الناحية الإدارية أن تكون الجزائر إقليميا فرنسيا يتشكل من مقاطعات، ويتجزأ إلى مديريات كما تتشكل وتتألف وتتجزأ إداريا كل الأقاليم الفرنسية في فرنسا " وبهذا الإدماج يعني: " إلغاء كل ما يفصل باريس عن المقاطعات الجزائرية، أو ما يميز بينها إذ أن كل تمييز عن المقاطعات الجزائرية أو ما يميز بينها إذ أن كل تمييز كهذه يعد في هذه الحالة مظهرا قوميا غير مرغوب فيه وغير شرعي " وقد لا يكون ولا يتحقق إذ يتحول الإدماج إلى باب مغلق دون أن يتحقق الاستقلال الذاتي والداخلي ودون الاستقلال التام[2] وبالتالي النظر إلى الإدماج وسياسته الذي تنادي به فرنسا يتعارض وأصول ومبادئ ومقومات الشخصية الجزائرية من لغة ودين وثقافة ووطن وتاريخ فكل هذا لا يشبه ما هو قائم في مقومات الشخصية الفرنسية.

ويظهر دهاء فرنسا بفكرة الإدماج وسياستها الخبيثة أن ظاهره يحمل فكرة المساواة والعدالة بين الجزائريين والفرنسيين في كل شيء وفي الحقوق والواجبات، أما باطن الإدماج فهو مخالف تماما كل مدلولات ما يدل عليه معنى الإدماج من الناحية القانونية والإدارية والسياسية . لأن الإدماج لا ينطبق في الجزائر إلا على الأرض ومن عليها من المستعمرين وهم من الجالية

[1] - ألان سافري، Alain safari ثورة الجزائر، ترجمة، نخلة كلاس، دمشق، 1961م ص، 84، وص 85 .
[2] - المرجع السابق، ص، 84 و، ص، 85 .

الأوروبية دون السكان الأصليين وهم الجزائريون . حيث السياسة الفرنسية تعمل على إقصائهم [1]

هذا وبالرغم من أن السياسة التعليمية الفرنسية ارتكزت على الفرنسة والتنصير والإدماج، إلا أنها لم تطبق على الجزائريين عمليا إنما كان نظريا فحسب، حيث أن فتح أبواب التعليم الفرنسي أقتصر في وجه قلة من الجزائريين وفي نطاق محدود إلى جانب أنه استفاد من الموالين لفرنسا من أبناء الحركة والباشاوات والقياد والقوادين أصحاب المصالح الذاتية وهؤلاء كانوا يمثلون ما يعرف في ذلك الوقت بالنخبة في نظر الفرنسيين . تثقفوا بالثقافة الفرنسية الخالصة، وانبهروا بمظاهر الحضارة الفرنسية ماديا خاصة، فأصبحوا دعاة متحمسون للإدماج، وإدماج الجزائر في فرنسا، والتجنس بجنسيتها، بل أن بعضهم قد بلغ به التطرف إلى حد إنكار وجود شخصية جزائرية قائمة بذاتها في التاريخ مكانا وزمانا وقد أصبح الاحتلال يعتمد في تحقيق جزء كبير من سياسته الرامية إلى محو الشخصية الجزائرية على يد "جماعة النخبة" التي صارت بمثابة معول هدام ضد شخصية بلادهم . ومستقبلها السياسي وحقها في الحرية والاستقلال، والسبب في ذلك هو سياسة فرنسة التعليم التي أتبعها الاحتلال بالنسبة للجزائريين طوال قرن وثلث " [(2)]

علما أن هذه النخبة من الجزائريين عولت فرنسا عليها فيما بعد وكانت سندا حتى لأبنائهم وهي تمثل نسبة قليلة من مجموع السكان الذين كانوا

[1] - المرجع السابق، ص، 85 .

[2]- رابح تركي، مرجع سابق، ص، 118 و، ص، 1129 .

وقتذاك فكانت النسبة تقدر ب 10 % منهم والباقي من السكان يمثل 90% وكان هذا طيلة عهد الاحتلال . ([1])

والدليل أن مشروع الإدماج الذي يحمل اسم صاحبيه ليون بلوم ([2]) وفيوليت([3])لقد تنبه السيد بلوم أن مطالب النخبة في الجزائر كانت لاتتعدى المساواة السياسية " وإذا لم تؤخذ تلك المطالب بعين الاعتبار قد تتطور لتسبب بالتدريج في ضياع الجزائر نهائيا، لأجل ذلك فإنه طلب من السيد فيوليت أن يضع مشروع قانون يمنح بمقتضاه حق التصويت للنخبة الذين كان عددهم في ذلك الحين يتراوح ما بين 20 و25 ألف شخص " [(4)] وراحت هذه السياسة التعليمية الفرنسية تنفذ سمومها في الشعب الجزائري بضرب مقوماته وتشويهها ولكن مع ذلك لم تلقى صدى فقد تصدى لها الأحرار من العلماء والمناضلين وكل فئات الشعب كل بما يملك من عتاد لضرب هذه السياسة وحبس أنفاسها في أوراق المشروع، حبر على ورق لا غير كما سنرى فيما بعد كيف تمثلت هذه المقاومة بالموازاة بوضع سياسة تعليمية أصيلة .

لكن فرنسا شعبا وقادة عملوا بكل ما في وسعهم نجاح سياسة الفرنسة والتنصير والإدماج في التعليم والقضاء على الشخصية القومية . منها،

---

[1] - إيف لاكوست وآخرون، الاستعمار الفرنسي في المغرب العربي، ترجمة محمد عيساني مكتبة المعارف، بيروت، دون تاريخ ص، 122 .

[2] - يذكر في الهامش محمد العربي الزبيري، من كتابه الثورة الجزائرية في عامها الأول ص، 25 أن بلوم، كاتب ورجل دولة فرنسي، ولد سنة 1872، وتوفى بعد أن عمر 78 سنة وكان ذلك عام 1952م بدأ النضال إلى جانب جان جوريس في العشرية الأولى من القرن العشرين ترأس حكومة الجهة الشعبية سنتي 1936 و1937 م دعا بعد ذلك لرئاسة الحكومة سنة 1938م، وفي أثناء الحرب، لكن لفترات وجيزة، ترك مؤلفات عديدة وهامة . من بينها كتاب الزواج سنة 1907 م الذي آثار ضجة بسبب آرائه الجريئة حول الزواج وحقوق المرأة وهو خريج القانون بجامعة السربون

[3] - كان موريس فيوليت واليا عاما بالجزائر شن حملة شنيعة وشرسة ضد الحركة الوطنية أثناء عهد إدارته بالجزائر سنة 1936م وهو الذي أسهم بوضع مشروع عرف باسمه فيما بعد " مشروع فيوليت " ودوافع وأسباب وجود هذا المشروع كانت بسبب الاضطرابات التي واجهتها الجزائر ما بين عامي 1935 و1936م وتسببت فيها الجبهة الشعبية من الاضطرابات في المعامل والمصانع، والشركات والفلاحة .. لأجل المساواة بينهم وبين المعمرين كما أن الظروف الاجتماعية والاقتصادية في السنوات ما بين 1930م إلى غاية 1936م كانت سببا حقيقيا فيها بالإضافة أن الأزمة الاقتصادية العالمية انعكست على أثر السياسة الفرنسية في الجزائر .

[4] - محمد العربي الزبيري، الثورة الجزائرية في عامها الأول، المؤسسة الوطنية للكتاب 3 شارع زيروت يوسف، الجزائر ص 25 .

- محاولة تشويه التاريخ الجزائري وجغرافية الجزائر.

- ركز المعلمون والمشرفون على التربية والتعليم تقديم مادتي التاريخ والجغرافيا تقديما مغشوشا ومشوها للجزائر فعلى سبيل المثال أنها كانت تعلم للأبناء أن الجزائر قديما كانت تسمى La Gaul وأن أجدادنا يسمون الضالين Les gaulois وهذا مقابل ما يدرسه التلميذ الفرنسي في مقاطعة (نور ماندي) [1] والقصد من كل هذا نشأة جيل من الأبناء يشعرون بالانتماء الدموي والحضاري إلى حضارة غير حضارتهم كشعورهم بالانتماء إلى جنوب فرنسا Les gaulois "لا من أن أصلهم الدموي العرقي يعود إلى الأمازيغ الأحرار وإلى شبه الجزيرة العربية، وبذلك يصبحون أسهل انقيادا واستجابة لقبول نتائج سياسة فرنسا التعليمية، الفرنسة والتعليم والإدماج .

- تدريس فرنسا تاريخها لأبناء الجزائر بكل عصوره على حساب تاريخهم، والقصد من ذلك قطع الصلة مع ماضيهم وذاكرتهم وكل ما له علاقة بمقومات الشخصية الجزائرية [2] وقد امتد هذا المسخ والمنع في تدريس تاريخ الجزائر لأبنائها حتى للمدارس الحرة والزوايا ومدارس جمعية العلماء المسلمين التي أنشأت لغرض بقاء الوجود الذاتي والشخصية الجزائرية الإسلامية والتعبير على أن هناك حضارة جزائرية أمازيغية وعربية اللسان، فراحت فرنسا تعمل بوسائلها الجهنمية من تكتيك حربي وسياسي فقد أصدر على سبيل المثال قانون 1904 يحظر على الجزائريين فتح أية مدرسة أو كتاب قرآني إلا بترخيص خاص من الإدارة الفرنسية وبقي هذا القانون سائر المفعول حتى خروج فرنسا [3] دون إلغائه فإذا منحت الرخصة لطالب فتح مدرسة فإنه يشترط عليه إبعاد التاريخ والجغرافيا من البرنامج الذي يدرس بهذه المدرسة أو الكتاب وإذا كان عكس ذلك فلا تمنح له

---

[1] - أنظر نقولا زيادة، صفحات مغربية، دار الطليعة بيروت سنة 1956م، ص، 311 .

[2] - رابح تركي، مرجع سابق، ص، 115 .

[3] - عبد الحميد بن باديس، مجلة الشهاب، عدد، أبريل، 1936م. ص، 49، 50 . .

الرخصة وحتى وإن منحت له الرخصة وثبت العكس أنها تدرس مادتي التاريخ والجغرافيا فإنها تغلق وترتب عليها آثار جزائية ومدنية " عقوبات "

- تغليط وتجهيل التلاميذ بتاريخ بلادهم وأجدادهم، بتدريس الجغرافيا لهم عن نحو ضيق، حيث المنطلق الذي ينطلق منه المعلم الفرنسي في تدريس مادة الجغرافيا، أن الجزائر جزء لا يتجزأ من فرنسا وأن الجزائر تمثل ثلاث مقاطعات فرنسية فيما وراء البحر المتوسط .

- تحطيم الروح المعنوية التي كانت هدف السياسة التعليمية الفرنسية فاستخدمت وسائل التخويف والإرهاب وذلك باسم الغزو، ومن الداخل فاستخدمت وسائل الإعلام ومختلف النشاطات البيداغوجية والتربوية المختلفة من مسرح وموسيقى وأناشيد ورسم وألعاب رياضية وصحافة وخطابة وبالفعل لعبت المدرسة دورها الفعال في انتهاك ونحر الجسد الجزائري في عمق تكوينه ولكن الواقع هيهات أن نفس هذه السياسة مهما بلغت من وسائل القوة مهمتها . وذلك بتفطن الشعب الجزائري لهذه المهمة ففضلوا الأمية والجهل وحافظوا على مكوناتهم من أجل أن لا يتحولوا إلى فرنسيين وإلى عبيد الفرنسيين عمالهم وخدامهم، لأنهم وسيلة لا غاية فهم مواطنون من الدرجة الثانية والدرجة الثالثة .

هذا وإن كان يرى بعض الباحثين أن هناك نجاح لسياسة التعليم الفرنسية، فإنه لم يتم نجاحها إلا في جزء بسيط من مخططها وكان فاشلا، حيث تمثل هذه السياسة جماعة النخبة اللذين تحولوا إلى بيادق يهتفون بفرنسا ومتحمسين لإدماج الجزائر في فرنسا والتجنس بجنسيتها، وقد وقع ببعض هؤلاء إلى حد الجحود والإنكار والتطرق وعدم الإيمان بمصادر إنيته وشخصيته الجزائرية حتى قال : " أنه فتش عن القومية الجزائرية في بطون التاريخ فلم يجد لها من أثر، وفتش عنها في الحالة الحاضرة فلم يعثر لها عن خبر " [1] ويرد عليه عبد الحميد بن باديس بهذا التعبير أشرقت عليه أنوار

[1] - عبد الحميد بن باديس، مجلة الشهاب، ج 1 م، 12 عدد أبريل، سنة 1936 من ص ـ 45 إلى ص 50 .

التجلي فإذا به يصيح فرنسا هي أنا [1] وقد شجعت فرنسا أمثال هؤلاء وأطلقت عليم اسم جماعة النخبة تميزا لهم وعن بقية أفراد الشعب [2] "

يلاحظ أن الجزائر لا تزال حتى بعد حصولها على الاستقلال التام منذ سنة 1962 تعاني من أثر سياسة الاحتلال التعليمية حيث لا يزال بعض من الجزائريين المثقفين ثقافة فرنسية خالصة يعارضون خطة تعريب التعليم والإدارة في الجزائر متأثرين بما تعلموه في المعاهد الفرنسية في عهد الاحتلال من معلومات مشوهة ومغرضة، ضد اللغة العربية والثقافة العربية وانتماء الجزائر الحضاري والمصيري إلى الأمة العربية والعالم الإسلامي"[3]

وقد نسانده الرأي لأن هذه النخبة لم تنقرض يل لا يزال وجودها قوي في مؤسسات الدولة، وهم أبناء جماعة النخبة المفرنسة حيث حافظ هؤلاء على السياسة التعليمية المفرنسة من خلال مواقع عملهم .

وما يجب التنبيه إليه أيضا أن ظاهرة النخبة ليست ظاهرة اختصت بها الجزائر فقط، بل نجدها عامة في كل الدول التي عرفت الاحتلال العسكري والمصحوب بالغزو الثقافي وخاصة الدول التي استعمرتها فرنسا والتي عرفت بالمستعمرات الفرنسية وفي نظرنا أن الاستعمار الثقافي من أخطر الأسلحة لأنه يعمل على مسخ وفسخ، وفساد روح الشخصية القومية الوطنية، وقد حدد الأستاذ أبو القاسم سعد الله مفهوم الوطنية ومفهوم القومية فالوطنية " تعني حب الإنسان لوطنه الذي ولد فيه وتربى فيه واستعداده لدفاع عنه والموت في سبيله" وهذا المفهوم في نظر أبو القاسم كان موجودا ومشتركا بين جميع الجزائريين، ومفهوم القومية " تعني الشعور المشترك بين جماعة معينة، وتشترك في التاريخ والمصير ... والجزائريون، بالإضافة إلى اشتراكهم في "الضمير الوطني " كانوا وما زلوا يؤمنون بالأمة العربية التي يتقاسمون معها

---

[1] - رابح تركي، مرجع سابق، ص، 119.

[2] - المرجع السابق، ص، 118 .

[3] - رابح تركي، المرجع السابق، 119 .

التاريخ والثقافة والمصير والحدود الجغرافية ... وأن لدى الجزائريين شعورا قوميا يربطهم بتلك الأمة ارتباطا عقائديا راسخا " ([1]). إلى جانب النخبة التي استطاعت فرنسا أن تخلخل مبنى شخصيتهم من الأمومة الطبيعية الصحية إلى الأمومة الاصطناعية المريضة فاستطاعت المدرسة الاستعمارية أن تفسد فطرتهم وخلقتهم بتشويه شخصيتهم القومية هناك .

الطرق الصوفية المنحرفة :

وهم رجال مثلوا هذه الطرق تمثيلا فاسدا ابتعدوا عن جادة الحق وعن القومية الجزائرية واستطاعت السياسة الاستعمارية أن تفعل فعلتها فيهم فجعلت منهم أداة في خدمة أهدافها ومصالحها العليا ضد الجزائر اعتبرتهم الممثلين للإسلام وأنهم الخلاص في نظر الفرنسيين لحجب جرائمهم وجبروتهم بنشر تعاليم تخدم مصالحهم والتي تسيطر بها على بسطاء الشعب باسم الدين والتصوف الزائف فعملوا إلى تخويفهم من الاستعمار، والخضوع له وطاعة قادته وحكامه وذلك عن طريق تخديرهم وصرفهم عن المقاومة ونبذ الاستعمار ورفض ومحاربة مشاريع الاستعمار أيا كانت طبيعتها والتي كانت جميعها تصب ضد الشخصية الجزائرية، وحرية الوطن الجزائري واستقلاله. ولعل هذا ما أدى بحركة الإصلاح التي قادها عبد الحميد بن باديس إلى محاربة مثل هؤلاء وفي مقدمتهم الصوفية المنحرفة بخرافاتها وشعوذتها باسم الدين، وكذلك عقاب الرجال بالوسائل التي انتهجتها الحركة بسبب تعاونهم مع الاستعمار ضد مصالح وطنهم العليا ثقافية وسياسية ودينية ... وقد كان لهذه الحركة دور مهم وفعال، كان نتيجة التخلص من الاستعمار وبقاء مقومات الشخصية الجزائرية رغم أنوف أعدائها، هذا وأن الوسائل التي أتبعتها فرنسا لتنفيذ سياستها التعليمية في الجزائر تمثلت في النقاط الآتية وباختصار.

[1] - أبو القاسم سعد الله، أبحاث في تاريخ الجزائر، القسم الأول، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط، 2 منقحة، ص، 68، 69 .

1 – محاربة الثقافة الأمازيغية والعربية الإسلامية .

2- القضاء على اللغة العربية في أطوار التعليم والتخلي عنها واعتبارها لغة أجنبية وذلك لما يلي :

أ – فرنسة التعليم في المرحلة الابتدائية وجعل اللغة العربية أجنبية (اختيارية)

ب – تقسيم اللغة العربية إلى ثلاث لغات

1 – عربية عامية يستعملها الشعب، وهذه لا قيمة لها وبالتالي ليست صالحة للتعليم .

2- عربية فصحى وهي لغة القرآن .وهذه مثلها مثل اللغتين اللغة اليونانية واللغة اللاتينية وتعتبر لغة ميتة

3- عربية حديثة وهي نتاج بعض المتعلمين وأداة للقومية العربية، وبالتالي هي لغة أجنبية، ويجب إبعادها من برامج التعليم.

ج – اللغة العربية لغة أجنبية كما نص عنها قرار شوطان. [1]

هـ - حصر تعليم الجزائريين في أضيق الحدود " حيث ورد في إحصائيات 1950 م 1951م مثلا أن جامعة الجزائر كانت تضم نحو 5000 طالب من بينهم (213) فقط من الجزائريين ويدل على أن نصيب كل عشرة آلاف نسمة من السكان الفرنسيين 98 مقعدا في الجامعة بينما لم يكن يتجاوز نصيب الجزائريين ربع مقعد فقط. "[2] والإحصائية الآتية تدل على أنه كلما أمضينا تصاعديا من الابتدائي إلى الجامعي فنقف على عدد المتعلمين من الجزائريين الفرنسيين في تناقص بشكل بين وهو كما يلي :

المدارس الابتدائية يقابل عدد الفرنسيين 4,5 أمثال عدد الجزائريين

المدارس الإعدادية يقابل عدد الفرنسيين 8 أمثال عدد الجزائريين

---

[1] - رابح تركي، نفسه ن صن 129 .

[2] - احمد بن نعمان، التعريب بين المبدأ والتطبيق، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ص، 185 . وأنظر مجلة كوفيليان (KOUFULIENT) تعليم المسلمين في الجزائر عدد 32 و33 يونيو يوليو سنة 1963م ص 640.

المدارس المهنية يقابل عدد الفرنسيين 17 أمثال عدد الجزائريين

المدارس الثانوية يقابل عدد الفرنسيين 36 أمثال عدد الجزائريين

المدارس الجامعية يقابل عدد الفرنسيين 192 أمثال عدد الجزائريين

تدل الإحصائية على تحديد الطلبة الجزائريين في مختلف مراحل التعليم وبينت إحصائية أخرى رسمية صدرت سنة 1950 نسبة الجزائريين من أصحاب المهن الحرة بالنسبة للفرنسيين، وتدل على سياسة التعليم التي انتهجتها فرنسا للجزائريين.

28 طبيبا جزائريا من مجموع 1559 وذلك يعني 5,2 % من المواطنين

10 أطباء أسنان من الجزائريين من مجموع 317 وذلك يعني 3,1 % من المواطنين

35 صيدليا جزائريا من مجموع 506 وذلك يعني 2,5 % من المواطنين

11 قابلة جزائرية من مجموع437 وذلك يعني 2,5 % من المواطنين

509 معلما ابتدائيا جزائريا من مجموع 6227 وذلك يعني 8,1 % من المواطنين .[1]

تدل هذه الإحصائية على تحديد عدد الوظائف، في كل المهن وهذا يدل على تقلصهم في التعليم، واقتصارهم على النخبة فقط،

وقد اعترف كثير من المفكرين الفرنسيين ما ارتكبته فرنسا ضد الجزائريين من حيث حرمانهم من التعليم ففي عام 1954م جاء وفد فرنسي يتكون من عدة شخصيات في عالم السياسة والصحافة والعلم والدين لزيارة الجزائر بغرض دراسة واستطلاع الأحوال بها وعندما عاد الوفد إلى فرنسا أعلن رئيس الوفد لوسائل الإعلام والصحافة قائلا : "إنه وزملاءه رأوا بأعينهم أن مليونين من أبناء الجزائر لا يتلقون اي تعليم على أي مقعد مدرسي وذلك

[1] - احمد بن نعمان، مرجع سابق، ص، 186، وينظر أيضا ساطع الحصري، جويلية، الثقافة العربية، السنة الثانية سنة 1950 م 1951، القاهرة ص ـ 559 .

وما يلاحظ على هذه الإحصائيات أنها لا تمثل العدد الحقيقي للجزائريين الذين كانوا وقتذاك عددهم ثمانية ملايين نسمة أيضا ينظر أحمد بن نعمان، المرجع السابق، ص، 186 .

بعد أن بسط النظام الاستعمار عليهم رحمته مدة 125 سنة، ورأينا الجزائريين لا يشاركون في التعليم الابتدائي إلا بنسبة 10% فقط وليس لهم في التعليم العالي إلا نحو 300 طالب ورأينا الأبواب العلمية موصدة في وجه الجزائريين وخرجنا من كل ذلك بنتيجة عظيمة إذا كنا في فرنسا نجهل معنى العنصرية، فإن العنصرية في القطر الجزائري هي القانون الرسمي المعمول به " [1]

ز- خلق عراقيل لتعليم الجزائريين مما أدى إلى ما يلي :

1- فصل تعليم الجزائريين عن تعليم الأوربيين من حيث اختيار المعلمين ومؤهلاتهم .

2- صعوبة الامتحان أمام الجزائريين بعوائق لا تؤهلهم بالاجتياز في النجاح إلى جانب وضع شروط قاسية للتأهيل .

3- المبالغة في المصاريف الباهظة التي تتعلق برسوم الدراسة .

و- اضطهاد المعلمين في التعليم العربي الحر ومنع المشايخ والمصلحين وعلماء الجزائر من التدريس في المساجد

ي – محاربة ومقاومة وتشديد الخناق على جهود جمعية العلماء المسلمين في ميدان التعليم.

ثانيا : اعتناء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بالتعليم

إن المخطط الاستعماري الذي وضع لسياسة التعليم في الجزائر كان الدافع الحقيقي لاعتناء جمعية العلماء بالتعليم والنهوض به مقابل الردة التي وقعت لدى بعض من الجزائريين الذين ينادون بالإدماج وبتمثل ثقافة فرنسا لغة وتعليما لأنها دولة هيمنة وسيطرة ودولة الأقوى لذلك توفر مجموعة من الأسباب لدى جمعية العلماء المسلمين دفعت بهم إلى الاعتناء بالتعليم والتركيز عليه كحراك للتغيير والتحرر وأيضا الحفاظ على السيادة

[1] - نقلا عن جريدة البصائر، عدد 270 / ما يو 1954م السنة السادسة ص، 1 .

والشخصية الجزائرية والدفاع عنها، والحفاظ أيضا على مكانتها في المجتمع الدولي كعضو وشخص معنوي .

ويذهب الباحث الأستاذ رابح تركي، [1] أن تكوين جمعية العلماء الجزائريين سنة 1931م كانت لمجموعة من الأسباب منها .

1- السياسة التعليمية الفرنسية التي أرادتها فرنسا كان من ورائها غرض تمثل في وأد اللغة العربية والثقافة العربية الإسلامية في عقر دارها فعملت بكل الوسائل من أجل رد الاعتبار للثقافة العربية الإسلامية، واللغة العربية، لهذا قوبلت هذه السياسة برد عنيف ورفض من قبل كثير من الجزائريين الأحرار.

2- اقتصار الحكومة الفرنسية وقتذاك في الجزائر" عهد الاستعمار" على تعليم قلة قليلة وخاصة من الناس إذا نظرنا إلى الإحصائيات الخاصة بالتعليم وقتذاك فتعداد الجزائريين المتمدرسين قليل جدا بالمقارنة مع التلاميذ الفرنسيين وكان هذا بهدف تجهيل الأغلبية وجعلهم يتخبطون في ظلمات الجهل والأمية .

3- وعي أغلبية الجزائريين خاصة بعد الحرب العالمية الأولى، بأن العلم هو الخلاص الوحيد الذي يحررهم من قبضة الاستعمار، وهو الذي ينقلهم من دور التخلف إلى دور التقدم وأنه الأساس في التحرر من كل أشكال الاستغلال والاستعمار، وأنه العنصر الوحيد الذي يحافظ على كيان الأمة والشعب حتى بعد الاستقلال . وقد ذهب طه حسين (1889 م – 1973) [(2)] إلى هذا الرأي أن الشعب الجاهل من الصعب عليه الحصول على الاستقلال من عدوه المستعمر، وحتى ولو حصل على استقلاله فإنه عاجز على المحافظة عليه، لأنه ليس بوسعه من حيث إمكاناته أن يقدر الاستقلال حق قدره

[1] - رابح تركي، المرجع نفسه، ص، 194.

[2] - ينظر طه حسين مقال في جريدة السياسة التي كانت تصدر بمصر العدد 190 /6/ 1923م القاهرة وينظر الأستاذ رابح تركي في الهامش . ص، 199 .

وليس بإمكانه أن يتخذ من الوسائل ما يتيح له حمايته من عبث العابثين أو فساد المفسدين سواء كانوا أجانب أم وطنيين لأنه لا يملك العلم الذي يتصدى ويدافع به عن كيد المكيدين ويتحصن به كعامل قوة .

4- إن جمعية العلماء المسلمين [1] هي جمعية نشأة لأجل تنوير المجتمع بالتعليم ونقله من سلطة الظلام إلى رحاب النور الذي يقودهم لا محال إلى الثورة ضد المستعمر، والانتصار عليه لا محال وبالتالي الاستقلال وكذلك جاءت كرد فعل على المستعمر خاصة الوقوف ضد سياسته التعليمية الماسخة والفاسخة لأصالة الجزائريين من لغة وثقافة ودين، واستبدالها بلغة وثقافة ودين لا علاقة لها بجوهر شخصية الجزائري . لذلك فعبد الحميد بن باديس(1989م- 1940 م) وضع أسس للجمعية تقوم على مبادئ يجب العمل على إرسائها والدفاع عنها، وهي العروبة، والإسلام، والعلم والفضيلة فقال أنها أركان نهضتنا وأركان جمعية العلماء المسلمين وهي مبعث حياتنا ورمز نهضتنا فهي التي تحفظ جنسيتنا وقوميتنا وتربطنا بوطنيتنا الإسلامية الصادقة " [(2)] وتذكر في قانونها الأساسي أن القصد من هذه الجمعية هو محاربة الآفات الاجتماعية كالخمر، والميسر، والبطالة والفجور، وبالجملة كل ما يفسد على الناس عقولهم أو يضيع عليهم أموالهم، فهو من الآفات وحاربت الجهل والجمود والخرافة، وكل أنواع الأباطيل، وكل من يقف في وجه التعليم [(3)] وكان الهدف من وجود الجمعية واضح بالأساس وقد عبر عنه أصحابها أو مؤسسيها هي : "جمعية إسلامية جزائرية في مدارها وأوضاعها،

---

[1] - جمعية العلماء المسلمين تكونت من شهر مايو 1931 م وكانت تظم مجموعة من العلماء اللذين معظمهم ينتمون إلى مدرسة التجديد الإسلامي " السلفية " وتولى رئاستها في البداية الشيخ الإمام عبد الحميد بن باديس من سنة 1931م وبقي يرأسها حتى وفاته 1940، ثم تولى رئاستها الشيخ الإمام محمد البشير الإبراهيمي من عام 1940م حتى عام 1956 م وهو العام الذي حلت فيه من طرف الاستعمار الفرنسي وذلك بعد عامين من اندلاع الثورة المباركة في الجزائر ضد وجه الاحتلال وكان الثورة ثمرة من ثمار الجمعية " ينظر رابح تركي، ص، 201 . وكذلك مجلة الشهاب ج، 6 م 7 عدد يونيو جوان، قسنطينة سنة 1931م ص، 394 ،ايضا جريدة البصائر، السنة الثانية عدد 71 / 18 يونيو سنة 1937 م ص، 1 مقالا للأستاذ عبد الحميد بن باديس، بعنوان، دعوة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأصولها .

[2] - تنظر خطبة عبد الحميد بن باديس منشورة في جريدة البصائر، السنة الثانية العدد، 83/ 30 سبتمبر سنة 1937، ص، 1

[3] - مجلة الشهاب ج، ــ، م 12، عدد نوفمبر سنة 1936 م ص 352 و، ص، 358 .

علمية في مبدئها وغايتها" وقد أسست من أجل تحقيق هدف تتطلبه ظروف الجزائر وأوضاعها السياسية والثقافية، والاجتماعية وهو تعليم الدين واللغة العربية وبعث الثقافة الإسلامية في البلاد، والمحافظة على مقومات الشخصية الجزائرية" [1] مع العلم أن السياسة التعليمية التي انتهجتها الجمعية كانت لمحاربة الاستعمار والقضاء على فلسفته من جذورها فسطرت مشروعا تريد من وراءه تحقيق ما يلي :

1- حماية اللغة العربية وإحياء ثقافتها ونشرها في البلاد بعدما لقيت من المستعمر الإهمال والتقليل من قيمتها إلى حد وأدها ودفن حضارتها في الجزائر.

2- تطهير الدين الإسلامي من الخرافات والأساطير، والشعوذة وما لحق به من تزوير وتحريف بسوء فهمه وتأويله بما يخدم مصالح فرنسا المادية والمعنوية، وكان هذا التحريف والتزوير من بعض المنحرفين والمنحلين وعملاء فرنسا وحتى من المتصوفين الطرقيين .

3- العمل على قضاء الاستعمار ومحاربته بطريقة سرية، كانت مبلطة تحت ستار تعليم اللغة والدين ودروس الوعظ والإرشاد وكل هذا من أجل الإحاطة بالاستعمار والقضاء على مشروع سياسته التعليمية والتنصير والفرنسة والإدماج .

4- تعمل على القضاء على سياسة التجنيس والإدماج والتنصير وتحارب الفرنسة كلغة قومية وتحل محلها اللغة العربية، ولكن لم ترفضها كلغة حضارة وتفتح . يقول البشير الإبراهيمي: " جمعية العلماء، هي التي حققت للجزائريين نسبه العربي الصريح، بريئا من شوائب الأقراف والهجنة، وأحيت في نفسه شعور الاعتزاز بنفسه وفي لسانه شعور الكرامة للغته وفي ضميره شعور الارتباط بين ثلاث مقومات الجنس واللغة والوطن، " [2]

---

[1] - نقلا عن رابح تركي، ص، 203 .

[2] - البصائر عدد (2) السنة الأولى – من السلسلة الثانية 1 أغسطس 1947 م ص (1)

5- المحافظة على الشخصية الجزائرية ومقوماتها الحضارية، والمعنوية وكل ما يتعلق بأصالتها من وطن وثقافة ودين .

6- العمل على تحقيق استقلال الجزائر واسترجاع مكانتها الدولية بين الدول وداخل المجتمع الدولي . وهذا الهدف الأخير هو حلم رئيس جمعية العلماء وذلك حين قال : " إن الاستقلال حق طبيعي لكل أمة من أمم الدنيا، وقد استقلت أمم كانت دوننا في القوة والعلم والحضارة ولسنا من الذين يدعون علم الغيب مع الله ويقولون أن حالة الجزائر الحاضرة، ستدوم إلى الأبد، فكما تقلبت الجزائر مع التاريخ فمن الممكن أنها تزداد تقلبا مع التاريخ، وليس من العسير بل أنه من الممكن أن يأتي يوم تبلغ فيه الجزائر درجة عالية من الرقي المادي والأدبي، وتتغير فيه السياسة الاستعمارية، وتصبح البلاد الجزائرية مستقلة استقلالا واسعا تعتمد عليها فرنسا اعتماد الحر على الحر "[1]

نظام التعليم عند جمعية العلماء المسلمين :

أنصبت جهود الجمعية على نشر التعليم والعناية به وذلك لتحقيق أغراض ومقاصد منها .

1- بعث وإحياء النهضة التعليمية العربية والثقافية الإسلامية .

2- مواجهة الاحتلال بالتعليم لتنوير العقول ونشر الوعي السياسي والأخلاقي بأن الجزائر وطن عربي إسلامي

3- تربية الناشئة على قواعد الإسلام بإنشاء مدارس في ربوع الجزائر الواسعة مع وضع إستراتيجية فنية في فتح المدارس بوساطة تخطيط تربوي عقلاني حيث تم فتح مدارس كبيري في البداية، فكان العمل كما يلي:

1- أشرف عبد الحميد بن باديس على قسنطينة وعمالتها بنشر التعليم ففتح مدارس بها، وكون لها جمعيات تشرف عليها بالسير وتقوم بوظائف تكميلية لها كجمع الأموال اللازمة لتمويلها وإمدادها بالمعلمين والوعاظ

[1] - مجلة الشهاب ج 3 م 12 عدد يونيو (جوان) سنة 1936 ص 145و146 .

والمراقبين وكل لوازم التعليم وما له علاقة بالمدارس في إطار المهمة الموكلة لها وهي التعليم .

2- أشرف البشير الإبراهيمي بالوظيفة نفسها على ولاية وهران وما جاورها من مدن وكان مقر عمله مقر سكناه الذي كان وقتذاك بتلمسان وهي من المدن العريقة في الثقافة والعلم والحضارة أبان ازدهار الحضارة الإسلامية في الأندلس .

3- المهمة نفسها قام بها الأمين العام للجمعية الشيخ الطيب العقبي (1889م 1961م) في العاصمة من إشراف على التعليم والتدريس والعناية بإنشاء المدارس والتنسيق مع المدارس الموجودة في قسنطينة ووهران وأنصارها في كل جهات الوطن .[1]

بعد سنوات تمكنت الجمعية من تحقيق مقاصدها التي كانت المادة الخام في تحريك الحراك الثوري للحركة الوطنية فيما بعد لتحرير الجزائر وقبل الاستقلال لأن التعليم وقف في وجه الاستعمار مبينا له أن هناك شخصية جزائرية مقوماتها الوطن الجزائري والامازيغية، والعربية والإسلام، ومن العجيب أن الاحتلال الفرنسي لم يعرقل جمعية العلماء سواء من حيث تكوينها أو عملها المتمثل في نشر التعليم والوعظ والإرشاد في البداية، حيث رخص لها بهذا النشاط وذلك بعد الاطلاع على قانونها الأساسي لكن كان يعتقد كما يقول حمزة بوكوشة [(2)] (1909م– 1994م) أنها على طريق

[1] - ينظر محمد البشير الإبراهيمي (مجلة مجمع اللغة العربية عدد 21 ص، 146 حين يتكلم عن وظيفة الطيب العقبي، فيقول : أنه تولى مهمة الإشراف على نشاط الجمعية التعليمي والتهذيبي .

[2] - هو الشيخ حمزة شنوف المدعو بوكوشة ولد بواد سوف عام 1909 وكان والده تاجرا بمدينة بسكرة لما بلغ حمزة الخامسة من عمره انتقل إلى والده بمدينة بسكرة للعيش هناك وكان والده الشيخ البشير محبا للعلم لذلك حرص على تعليم ولد العلم والمعرفة فتعلم علوم العربية والعلوم الإسلامية وكل فنون الأدب حتى بلغ من العمر سبعة عشر بعدها انتقل إلى تونس فدخل الجامع الزيتونة عام 1923م ومكث به ينهل من العلوم على أيدي مشايخ الزيتونة حتى نال منه شهادة التطويع وحين رجوعه من تونس التحق بالميدان التعليمي التربوي في المدارس التابعة لجمعية العلماء المسلمين حيث عين مديرا لمدرسة الإصلاح بدلس التابعة للجمعية سنة 1932م وفي عام 1936 انتقل إلى مدينة تيزي وزو ليشرف على مدرسة أسست هناك غير أن السلطات الفرنسية منعته من ذلك وبعدها انتقل إلى قسنطينه لمساعدة عبد الحميد في الدروس فأصبح يلقي دروسا بالجامع الأخضر وتخرج على يديه عدد كثير من التلاميذ اللذين أصبحوا أئمة ومعلمين وفي مهام أخرى فيما بعد عام 1956 باشر التدريس بفرع محمد بن باديس بجي بلكور بإشراف الشيخ العربي التبسي وبعد

الموظفين الذين يعملون عنده وبالتالي لا داع للخوف والريبة والحذر منها، لكن بعد سنتين غير رأيه من تكوينها، [1] فعمل على محاربة نشاطها ومنع رجالها من الوعظ والإرشاد والتعليم في المساجد التي كانت بإشراف الجمعية ومنع رجالها من ممارسة التعليم في المدارس وشدد عليهم الخناق بمراقبتهم والزج بهم في السجون والمحتشدات التي وضعت خصيصا لهم، ووضعهم تحت المساءلة والمراقبة لأن الاستعمار الفرنسي [2] أدرك أن رجال الجمعية وأنصارها يمثلون كفاءة قوية على تغيير الوضع والتصدي لمحاربتهم بإثارة الحماس في الشعب للوقوف أمام الأهداف والمشاريع التي يدعون إليها ويريد ون تحقيقها .

والمعلوم أن جمعية العلماء المسلمين قد مرت بمراحل أثناء نشاطها الإصلاحي.وحتى من حيث جذور وجودها.

فالمرحلة الأولى وهي مرحلة النشأة والتكوين منذ 1931م إلى غاية 1939م حيث تبلورت الفكرة واتضح الخط وأصبح القيام بالعمل الإصلاحي كفرض عين وليس كفرض كفاية

الاستقلال عين 1963م متصرفا مدنيا بوزارة الأوقاف ثم أستأنف عمله في التعليم الثانوي سنة 1964م حيث عمل أستاذ اللغة العربية بثانوية عقبة بن نافع بالعاصمة وإلى جانب نشاطه في التعليم له نشاطات أخرى خاصة في الصحافة والإصلاح .

- شارك في تأسيس جمعية العلماء المسلمين عام 1931م

أرسل إلى مدينة ليون بفرنسا من طرف الجمعية 1937م للإلقاء دروس ووعظ وإرشاد ومحاضرات للجزائريين وأبنائهم في المهجر, انتخب سنة 1938 م عضوا في المجلس الإداري للجمعية .

عام 1944م أسند إليه نيابة كاتب للجمعية .

- عام 1947م عين مراقبا عاما في أجهزة الجمعية .
- اعتقل سنة 1957م من طرف الاستعمار الفرنسي .
- اشتغل بجريدة المغرب العربي التي كانت تظهر بمدينة وهران
- هذا ولم يمنع كبر سنه بعد عمر بلغ فيه 60 عاما حيث دخل الجامعة ونال شهادة الليسانس في الحقوق سنة 1971م وعين بعدها مستشارا في الغرفة المدنية بوزارة العدل وبعدها تفرغ للمحاماة بعد تقاعده الرسمي توفي عام 1994م. ينظر موقع خاص ببوكوشة على النت شخصيات وأعلام حمزة بوكوشة كتبها بشير خالف يوم 18 أكتوبر 2011م على الساعة 05:13

[1] - ينظر حمزة بوكوشة، في مقالة له بالبصائر عدد 317 / 6 مايو سنة 1955، ص، 1

[2] - ينظر الاحتجاج الذي قام به أعضاء جمعية العلماء على قرار محافظ عمالة الجزائر الصادر بتاريخ 18 فبراير سنة 1933 والذي ينص على منع رجال الجمعية من الوعظ والإرشاد في المساجد " جريدة الشريعة عدد 1/ 17 يوليو سنة 1933 م ص، 208 .

المرحلة الثانية 1929 م 1944م وهي تكثيف الجمعية من النشاط والبحث عن السبل التي تتجاوز بها عوائق ومثبطات الاستعمار الفرنسي التي تقف في وجهها، والبحث أيضا عن الآليات التي تجعل منها جمعية قوية من حيث المعنى والصورة أي جمعية قوية ماديا ومعنويا .

المرحلة الثالثة وهي المرحلة التي توقف نشاطها 1944م 1956م وذلك باندلاع الثورة 1 نوفمبر 1954م، حيث قام الاحتلال بحل كل المنظمات، والقضاء على كل نشاط مهما كان نوعه، وخاصة النشاط الذي يقف في وجه الاستعمار .

والملاحظ أن نشاط الجمعية كان كثيفا في المرحلتين الأولى والثانية ففي فترة 1931م إلى غاية 1939م عملت الجمعية على التعريف بمبادئها وقوانينها ومدى طموحها إلى التطلع نحو النهضة فأسست عددا من المدارس والمساجد والنوادي، في أغلب المدن والقرى الجزائرية، وقد كان لها نشاط في الخارج أيضا حيث كانت الجالية الجزائرية تعيش في فرنسا في أغلب مناطق فرنسا فعملت على تأسيس نوادي ثقافية تقوم بتثقيف الجالية دينيا بغرض الحفاظ على هويتها وشخصيتها، وقد كان الذي يشرف على هذه المهمة الشيخ الفضيل الورتلاني، وذلك عام 1936 م وقامت بنشاط آخر وهو تعليم الجالية . وخاصة أبنائها اللغة العربية ومبادئ الدين الحنيف فكانت تجتهد في تعليمهم القراءة والكتابة في أوقات غير الأوقات التي يدرسون فيها في المدارس الفرنسية، وأيضا كانت تعلمهم تاريخ وجغرافية بلادهم الجزائر والعالم العربي والإسلامي، وكان المقصد بذلك ربط أبناء المهجر بهويتهم ووطنهم حتى ولو كان يعيشون خارجه، وغالب أطفال المهاجرين أمهاتهم أوربيات " فرنسيات " وبالتالي أن العمل كان أمام الجمعية ليس سهلا في مسألة التربية والتعليم فأجتهد مندوبها في باريس حتى لا يتمسحوا هؤلاء الأبناء وتستلب شخصيتهم ويعيشون الاغتراب بكل أنواعه ويذكر أحد أعضاء

الجمعية في باريس وهو من المسؤولين اسمه عبد الرحمن اليعلاوي وضعية الأطفال الجزائريين بعد الحرب العالمية الثانية في تقرير نشر في جريدة البصائر، وكان قد قدمه للجمعية لاعتماده كوثيقة تأسيس لتكثيف المجهود الإصلاحي، والحذر من الخطر المحدق والمحيط بهؤلاء داخل فرنسا قائلا : " يوجد اليوم عدد يتراوح بين الخمسة عشر والعشرين ألف طفل في سن الدراسة ولدوا من أب مسلم (جزائري) وأم مسيحية في الغالب لا يتلقون تعليما قوميا فيشبون على غير أخلاق أبائهم ومعتقداتهم، حتى إذا ما كبروا تنكروا لجنسهم واندمجوا في عنصر الأكثرية فتفقد البلاد هذا الشباب المتعلم التي هي في حاجة أكيدة إليه يصد غوائل الاستعمار المادية منها والأدبية " ([1]) والخطورة من هؤلاء تتمثل في كثرة عددهم حيث سجل عدد الأطفال للجزائريين في باريس وحدها ما بين أعوام 1941م إلى عام 1944 خمسة عشر ألف حالة ولادة، وكانوا بين ذكور وإناث ومن زواج مختلط، كما سجل إحصائيا جامع باريس في الفترة نفسها ستة آلاف حالة (ختان) للأطفال الجزائريين([2])

لها أن جمعية العلماء المسلمين قامت بدور فعال في إحياء الروح الجزائرية في نفوس هؤلاء الأطفال الجزائريين بتعليمهم مبادئ الإسلام، واللغة العربية، وحثهم أنهم من طينة غير الطينة الأوربية، وقد نبه أعضاء الجمعية لكثرة عدد هؤلاء في المهجر، فهاهو البشير الإبراهيمي في نص له منشور في البصائر يقول : " في فرنسا جالية عظيمة من المسلمين الجزائريين تبلغ مئات الآلاف متفرقة على مدن الصناعة عامة على كسب القوت بعد أن أجلاهم الاستعمار عن وطنهم بأساليبه المعروفة فخرجوا منهم مكرهين كمختارين وقد قضت عليه الضرورة أن يعشوا في وطن ليس فيه إسلام ولا عربية، وأن تطول إقامتهم فيه أو تدوم، وقضت عن بعضهم أن ينقل إليه

[1] - البصائر، عدد / 172. 173 / 15 أكتوبر سنة 1951، ص، 5 .

[2] - رابح تركي، المرجع نفسه، ص، 211 .

زوجته المسلمة أو يتزوج من أجنبية وينسل، وقد بلغ عدد أطفالهم في باريس وضواحيها نحوا من عشرين ألف طفل ..." ويضيف قائلا: " كانت جمعية العلماء فكرت في هذه القضية الخطيرة، وتدبرت عواقبها قبل أن يبلغ العدد إلى هذا الحد فرأت من الواجب عليها أن تلتفت إلى هذه الطائفة، ونهتم بها وأن تتخذ الوسائل لإنقاذها من الكفر والذوبان والانسلاخ عن العروبة والإسلام، وبدأت عملها التجريبي، سنة 1936م "[1]

فكان عمل جمعية العلماء الحفاظ على هذه الجالية بكل ما لديها من إمكانات حتى لا تذوب وتنصهر في ثقافة الأوربيين وتسلخ من أصالة آبائها وأجدادها . وللعلم أن المرحلة الثانية التي كانت منذ 1939 م إلى غاية سنة 1944م تتسم بأن نشاط الجمعية كان محدودا لأسباب قاهرة منها تأثير الحرب العالمية، وخضوع البلاد للأحكام العرفية، وصدور قوانين تحرم الجزائريين من ممارسة كل نشاط مهما كان طابعه وكذلك مع بداية سنة 1940 م توفى عبد الحميد بن باديس (16 أفريل 1940 م) كما نفي من طرف الاستعمار نائب الجمعية البشير الإبراهيمي في شهر مارس من عام 1940م إلى الصحراء بعمالة وهران حيث قضى في منفاه آفلو ما يقارب ثلاث سنوات ثم أفرج عليه سنة 1943م [2] . مع العلم أنه بعد وفاة عبد الحميد كان الإبراهيمي من تولى رئاسة الجمعية، وقد أنتخبه الأعضاء كرئيس لها في غيبته. [3] بالإجماع، وكان يدير رئاسته ويدير شؤونها وينظر لها عن طريق رسائل من منفاه، وكان يتبادل هذه الرسائل والقيام بهذه المهمة بوساطة ثقاة [4] إذن هذه الظروف حالت دون تحقيق أهداف الجمعية المسطرة في قوانينها غير أن أعضائها تحملوا كل العناء لأجل تبليغ الرسالة وتحمل المسؤولية.

---

[1] - البصائر عدد 172 6173 / 1(أكتوبر سنة 1951م ص، 5 .

[2] _ تنظر مجلة المجمع " مجمع اللغة العربية بالقاهرة "، مرجع سابق، ص، 147

[3] - المرجع نفسه، ص، 148.

[4] - محمد البشير الإبراهيمي، المرجع نفسه، ص، 148 .

أما المرحلة الثالثة والتي تبدأ من سنة 1944م إلى غاية سنة' 1956م فإنها المرحلة التي ظهرت فيها جهود جمعية العلماء وإن كان توقف نشاطها عن العمل بعد قيام الثورة المسلحة والتحريرية عام 1954 م فعرفت هذه المرحلة بازدهار التعليم الحر ونشره من طرف الجمعية على نطاق واسع عبر القطر الجزائري مما أدى التعليم الحر على إنشاء مدارس متعددة وإقامة نوادي تلقى فيها المحاضرات والندوات الفكرية والعلمية والدينية وحتى الرياضية والتكوين النفسي للثورة آنذاك.

وتأسيس مساجد حتى أن جمعية العلماء أسست في عام واحد وهو عام 1944 ثلاثا وسبعين مدرسة في مدن القطر وقراه " [1]

المدارس :

كان عمل الجمعية كما قلت سلفا هو تعليم الأمة الجزائرية دينها ولغتها والحفاظ على هويتها وتاريخها والقضاء على أنواع المسخ وبوادر الجهل وسياسية التمسح التي باشرتها السياسة التعليمية الفرنسية آنذاك، فعملت الجمعية بمبدأ أن الشعب الجاهل لا يمكنه الحصول على استقلاله من أعدائه، كما أنه عاجز علميا على المحافظة عليه بعد تحقيقه لأنه لا يستطيع أن يقدر الاستقلال حق قدره " [2]

لذلك رأت الجمعية أن المدرسة السلاح الوحيد الذي يمكن به محاربة سياسة التجهيل والقضاء على الاستعمار عكس ما يذهب إليه التيار الوطني الذي يدعو إلى أن النضال السياسي هو الطريق الأنجع في استرجاع الوطن من قبضة المستعمر، والواقع أن لكيلا الرأيين له إقناعه الخاص وكلاهما نجحا في المسلك الذي سلكه.

---

[1] - نفسه والصفحة نفسها .

[2] - البشير الإبراهيمي، سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، مطبعة الجزائرية الإسلامية قسنطينة الجزائر، سنة 1935م ص ـ 57، وص، 58 .

عملت الجمعية على تأسيس المدارس([1]) في كل مدن الجزائر التي تعدتها إلى القرى والأرياف إيمانا منها أن إصلاح الإنسان المجتمع الجزائري، لا يتم إلا عن طريق التعليم ووجهة نظرهم هذه كما قنا تتعارض مع وجهة نظر بعض السياسيين الوطنيين كمصالي الحاج، ([2]) حيث يرى هذا الأخير بأن تحرير الإنسان من عبودية المستعمر، وجبروت ظلمه لاحتلال أرضه لا يتم إلا بالمقارنة السياسية وبالنضال التحرري وطبعا أن لكل وجهة نظر لها ما يبررها وما يعبر عن قيمة صدقها , وإذا كانت الجمعية ترى أن إنشاء المدارس والحرص على تعليم أبناء الجزائر وأن هذا لا يمثل عندها إلا وسيلة لأن الغاية والهدف والحرص على الثقافة العربية الإسلامية وربط الجزائري بماضيه وحاضره والحفاظ على شخصيته وهويته العربية الإسلامية التي تميزه عن الأوروبيين الذين يريدون إدماجه في المجتمع الفرنسي وانصهاره بالثقافة الإسلامية .

لهذا السبب رأى العلماء أن صلاح المجتمع لا يكون بالسياسة، وإنما بتنوير عقل الإنسان من تثقيف وتعليم، فالسياسة تركوها لرجال وشخصيات خارجة عن الجمعية وأولوا الأهمية الكبرى للتعليم وسارت على منوال المصلحين في المشرق العربي في حركة الإصلاح فاتخذوا شعارها قول جمال الدين الأفغاني : " لا جماعة لقوم لا لسان لهم، ولا لسان لقوم لا آداب لهم، ولا عزة لقوم، لا تاريخ لهم، ولا تاريخ لقوم إذا لم يقم منهم أساطين تحمي وتحي آثار رجال تاريخها فتعمل عملهم، وتنسج على منوالهم، وهذا كله يتوقف على تعليم وطني بدايته الوطن، وغايته الوطن " ([3]) ولعل

---

[1] - المدرسة أداة رئيسية في نظر الجمعية لأنها تعمل على محاربة الاستعمار بطريقة غير مباشرة، وإن كان هذا الرأي لم يروق لرجال الحركة الوطني.

[2] - بو الصفصاف عبد الكريم، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية، 1931م 1945م رسالة تقدم بها الباحث لنيل دبلوم الدراسات المعمقة 1978م وتحصل بها على درجة جيد جدا، طبعة أولى 1401هـ 1981م دار البعث قسنطينة ص، 151، ص، 152 .

[3] _ أنظر رابح تركي، التعليم القومي والشخصية الوطنية، ص، 199 . نقلا : عن عبد الرحمان الرفاعي، جمال الدين الأفغاني باعث النهضة الشرقية، أعلام العرب، عدد 61 جانفي 1957م دار الكتاب العربي، ص، 181.

ما جعل الشيخ الإبراهيمي يصف المدرسة بأنها جنة الدنيا، وكل شعب لا تبنى له المدارس تبنى له السجون ([1])

وإيمان من أعضاء الجمعية أنهم أدركوا أن التعليم، الأرضية الصلبة التي يستطيع الشعب الجزائري من منطلقها يتحرك، مطالبا بالاستقلال، لأن كثرة المثقفين والمتعلمين، يتولد عنهم وعي بالقضية التي كانت وقتذاك وهي قضية التحرر من المستعمر المحتل، ويطالبون بوعيهم الحرية والاستقلال

وقد بلغ عدد المدارس من ابتدائية وتكميلية وإعدادية ومعهد واحد وهو معهد عبد الحميد بن باديس بقسنطينة في عام 1948م حوالي 140 مدرسة وكانت منتشرة عبر كل مدن وقرى الجزائر. ([2])

وذكر الشيخ البشير الإبراهيمي رئيس الجمعية سنة 1951م في تقريره السنوي في جمعية عامة المنعقدة في شهر أكتوبر أن عدد المدارس بلغ 125 مدرسة وللتنبيه بأن هناك مدارس أغلقت من طرف الاستعمار لنشاطها المضاد لمخططاته، وكذلك لم يدخل في هذا الإحصاء المدارس المعطلة إداريا من طرف الاحتلال والتي تشتمل على 300 فصل دراسي، كان يدرس بها حوالي 36,286 تلميذا وتلميذة وهؤلاء التلاميذ بعضهم يدرسون في المدارس الفرنسية وقتذاك علما أن هناك تلاميذ لا يدرسون إلا في مدارس الجمعية وهو ما يعرف عنهم بالطلبة المتفرغين حيث بلغ عددهم حوالي 16,286 تلميذا وهؤلاء كانوا يدرسون في النهار، وهم التلاميذ الذين يطلق عليهم أيضا باسم التلاميذ النهاريين وهذا العدد يمثله الإناث والذكور حيث أن عدد التلاميذ من الإناث بلغ 05,696، والذكور بلغ 10,590 .

وذكر الشيخ البشير أن هذا التقرير الذي يتضمن إحصاء خاص بالتلاميذ، وبالمدارس، فإن هذا الإحصاء الخاص بالتلاميذ هو في حقيقته إحصاء خاص بالتلاميذ الذين شاركوا في امتحانات آخر العام 1951م فقط،

---

[1] - رابح تركي، نفسه، ص، 54 .

[2] - رابح تركي، نفسه، ص، 214، جريدة البصائر، عدد 65 السنة الثانية،، السلسلة الثانية، 31 يناير سنة 1947م ص، 07 .

بمعنى لم يشمل الإحصاء العام لكل التلاميذ والذي يفوق عددهم بكثير من العدد المذكور لأن عددهم الإجمالي قد بلغ أربعين ألف تلميذ وتلميذة ([1])

فالمدارس التي أنشأتها الجمعية كانت في كل الجزائر بل أن في مدينة واحدة قد نجد أكثر من مدرستين، والدليل أن الجمعية نشرت في جريدة البصائر عدد 56 / 25 نوفمبر سنة 1948 ص، 7 أسماء المدارس، وأسماء المدن والقرى، مع عدد المعلمين حيث بلغ العدد إلى 136 مدرسة .

ونشرت جريدة البصائر في عددها 135 السنة الثالثة السلسلة الثانية يو 18 ديسمبر سنة 1950 م عدد مدارس جمعية العلماء المدارس الابتدائية موزعة على العمالات الجزائرية الثلاث بأسمائها وأسماء المن والقرى وعدد المعلمين . حيث مدارس الجمعية في عمالة وهران بلغت 19 مدرسة وفي عملة الجزائر 29 مدرسة وفي عمالة قسنطينة 74 مدرسة .

واستنتاجا لما سبق ذكره أن عدد المدارس يوحي بكثرة عدد التلاميذ، وعدد المعلمين وبالتالي أدى إلى ضرورة انتقال هؤلاء التلاميذ إلى مستويات أعلى لا يبقى تعليمهم محصورا في إطار التكوين الذاتي وإنما يتعداه إلى تكوين عال مما جعل أعضاء الجمعية يفكرون في فتح معاهد عالية، فكان فتح المعهد الثانوي العالي بقسنطينة عام 1947م والذي سمي باسم رائد الجمعية وهو " معهد عبد الحميد بن باديس " وهذا المعهد هو واحد من المعاهد الثلاثة التي قررت الجمعية إنشائها في الجزائر، وقسنطينة وتلمسان ([2]).

المعلمون في المدارس :

بلغ عدد المعلمين في مدارس الجمعية في سنة 1951م ([3])حوالي 275 معلما ومعلمة، وهؤلاء المعلمون المباشرون للتعليم، لأن هناك من المعلمين

---

[1] - البصائر، المرجع السابق، ص، 3 .

[2] - البشير الإبراهيمي، مجلة مجمع اللغة العربية عدد، 21 مرجع سابق، ص، 141.

[3] - جريدة البصائر، عدد 172 و173 السنة الرابعة، 15 أكتوبر سنة 1951م ص، 3 .

أجبروا وتوقفوا عن التعليم بسبب ملاحقة الاستعمار لهم، وكذلك المسجونين منهم ويعرف المعلمون الذين يدرسون في مدارس الجمعية بالمعلمين الأحرار لتميزهم عن المعلمين الرسميين في سلك التعليم الحكومي الفرنسي وكذلك المدارس سميت بالمدارس الحرة .

ويتم اختيار المعلمين من طرف جمعية العلماء المسلمين لمدارسها بشروط علمية وأدبية تتمثل في شخصية المعلم من ناحية وحسن أخلاقه وكفاءته العلمية من ناحية أخرى، لذلك كانت الجمعية حريصة على اختيار المعلمين والمديرين لمدارسها حتى لا تتأثر حركتها بأي خدش أو تجريح في مسعاها وكان في البداية يتم اختيار المعلم لاعتبارات علمية وأخلاقية وسمعة في البيئة التي يتواجد فيها، أو رضاء أفراد البلد عليه كقريته التي ينتمي إليها، ولم تكن تشترط الجمعية الشهادات العلمية في المعلم وكان هذا منذ تأسيس الجمعية من عام 1931م إلى سنة 1951م .

الشهادات العلمية في توظيف المعلمين :

انتشار التعليم الحر وكثرة المدارس وتزايد المعلمين والخريجين من مدارس الجمعية أصبحوا يتولون مهمة التدريس حيث قررت الجمعية عن طريق (لجنة التعليم العليا "(*) التي كانت تشرف على التعليم حيث تقرر بالإجماع سنة 1951م أن الذي يتولى مهمة التعليم لابد أن يكون حاملا لشهادات العلمية " كشهادة التحصيل، من جامع الزيتونة وهي كشرط أساسي في قبول المعلمين في المدارس إلى جانب حصولهم على الشهادة إخضاعهم إلى الامتحان الخاص.وأطلق عليه امتحان " أهلية التعليم" وكان يشمل الامتحان على ما يلي:

---

*- أسست الجمعية لجنة التعليم العليا عام 1948 م مهمتها الإشراف على شؤون التعليم في الجمعية، وكانت تقوم بحل المشاكل التربوية التي تعترض المعلمين، وتقوم بتنظيم ملتقيات تربوية، ودورية مهمة، تناقش فيها كل المسائل الطارئة في حقل التعليم، وكانت تقوم بوضع دروس نموذجية خاصة بالمعلمين، وذلك بقصد تنويرهم وتوسيع خبرتهم المهنية . ينظر رابح تركي المرجع السابق، ص، 218 .

1- إلقاء درس على جمع من الطلبة من منهاج التعليم في مدارس جمعية العلماء المسلمين.

2- موضوع إنشائي.

3- سؤال تربوي. ([1])

واستمرت الجمعية في وضع هذا الامتحان أو المناظرة في كل سنة دراسية جديدة كمسابقة بين المعلمين الذين يرغبون في الالتحاق بالتعليم في مدارسها لأول مرة من الذين يكونوا حاصلين على شهادة التحصيل أو الشهادة العالمية من القرويين من المغرب الأقصى وكان برنامج الامتحان أو المناظرة يحتوي على ما يلي:

1- موضوع كتابي له صلة بوظيفة التعليم .

2- درس يختار من منهاج التعليم .بالمدارس .

3- أسئلة في مسائل لها علاقة بالتربية والتعليم . [(2)]

مراتب المعلمين ودراجاتهم في الترتيب:

كانت الجمعية ترتب المعلمين بحسب الدرجات درجة (أ) و(ب) و(ج) [(3)] و(د). ومرتباتهم تصرف بحسب هذه الدرجات وتكون هذه الدرجات في التصنيف تتم إما بحسب الشهادة أو الأقدمية"الخبرة "، وكذلك من حيث سمعة المعلم وشهرته وكفاءته.

منهاج التعليم في هذه المدارس :

إن التعليم في هذه المدارس غالبا ما كان يدور حول العلوم الدينية واللغوية والإنشائية وتعتمد في تدريس هذه العلوم أسلوب الفهم والتبسيط وتبتعد عن كل تشويش يؤدي بعقم التفكير أو خرابه عند المتعلم مثلا في

---

[1] - البصائر عدد 329 29 أغسطس، سنة 1955م ص، 6، وينظر، رابح تركي، 219 .

[2] - رابح تركي، ص، 219 . وينظر أيضا، احمد الخطيب، جمعية العلماء المسلمين وأثرها الإصلاحي في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، سنة 1985م، ص، 213

[3] - رابح تركي، نفسه، ص، 220

دروس الوعظ والإرشاد يعتمد المعلمون على طريقة السلف الصالح بالتذكير بكتاب الله وشرحه وتسجيل عبره وتدريس الصحيح من السنة والتذكير بسيرة النبي العملية والتأسي بها وكذلك تطرقهم إلى سيرة الصحابة وهديهم، وحمل كل هذا في أقوالهم وأعمالهم وكانت تعتمد المدارس على تلقين التلاميذ أبسط القواعد وأسهلها في التراكيب وتعتمد على الإكثار من التمارين التطبيقية التي تساعد على الفهم وتثبيته في الأذهان والتركيز على المعنى أكثر من اللفظ، وكانت تشجع الدارسين في معاهدها على الخطابة والارتجال دون الاعتماد على المعلم أو الكتب أو الورق المكتوب وظهر هذا الأسلوب واضحا وجليا لدى تلامذتها، كانت تركز في برامجها الدراسية على تعليم القرآن الذي هو كما يقول الإبراهيمي: " سلاحها الذي به تناضل وسيفها الذي به تصول، وعدتها في الشدة وعلى الدعوة إليه بنت مبدأها الإصلاحي، وفي الدعوة إليه ورميت بالعظائم " ([1]) يقول أبن باديس : "

إننا نربي والحمد لله تلامذتنا على القرآن، ونوجه نفوسهم إلى القرآن، من أول يوم وفي كل يوم، وغايتنا التي ستتحقق، أن يكون القرآن منهم رجالا كرجال سلفهم وعلى هؤلاء الرجال القرآنيين تعلق هذه الأمة آمالها . وفي سبيل تكوينهم تلتقي جهودنا وجهودها " ([2]) واعتمدت المدارس في تدريس القرآن وفهمه كتبا ألفها جهابذة في العلم الشرعي واللغوي فاعتمدوا تفسير المنار للشيخ محمد عبده ورشيد رضا، وكتاب الكشاف للزمخشري وهو تفسير لغوي وتفسير روح المعاني للألوسي، واعتمدت في دراسة الحديث النبوي الشريف على كتب الصحاح التي راجت في المغرب العربي وخاصة كتاب الموطأ للأمام مالك بن أنس، واعتمدت على كتاب المقدمة لابن خلدون، في الاجتماع والتاريخ، وكانت المدارس في مناهجها التعليمي تختار من حين لآخر كتبا سهلة وبسيطة من حيث العبارة وأنها سريعة في الفهم، وذلك

[1] - الإبراهيمي، سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين، ص، 59 .

[2] - مجلة الشهاب، ج، 4، 5 م 14، ص، 411 عدد يونيو، ويليو، سنة 1938م .

بقصد جذب التلاميذ وتشويقهم إلى القراءة والمطالعة، ولأجل غرس محبة العلم والتعليم والمعرفة في نفوسهم . والشيء الذي يجب التنبيه إليه أنه منهاج التعليم في المدارس الخاصة بجمعية العلماء كان موحدا في كل مدارسها، حيث انعقد مؤتمرا عاما بهذا الأمر " توحيد التعليم " في نادي الترقي بالعاصمة سنة 1937م وكان عنوان المؤتمر موسوما " بمؤتمر المعلمين الأحرار ". فتناول المؤتمرون فيه كل ما له علاقة بالتعليم ومتطلباته، وما يجب العمل به في التعليم من الناحية الإيجابية والابتعاد عن كل السلبيات حيث تطرقوا إلى الوسائل والأساليب والنظم التي يسير عليها التعليم الحر إلى جانب تطرقهم إلى المناهج، وضرورة توحيدها في كل المدارس وقد وزعت موضوعات المؤتمر على المعلمين بأيام قبل انعقاد المؤتمر لإبداء آرائهم والكتابة حولها وهذه الموضوعات هي :

- وسائل التعليم .
- أسلوب التعليم .
- أسلوب تربية الناشئين .
- خلاصة تجاربهم في التربية والتعليم .
- اختيار الكتب في التعليم، وكان هناك تردد، هل اختيار كتب مصرية في التعليم، أم تأليف كتب تتماشى وتتفق والروح الجزائرية وأصالتها " تعليق خاص"
- رأيهم في تعليم البنت المسلمة وما هي وسائل تحقيق هذا التعليم .
- رأيهم في الوسيلة التي تقتدي بها المرأة المسلمة بسيرة سلفها الصالح من تلقي العلم .
- التعليم المسجدي ووسائل تنظيمه وترقيته .

- تقارير مفصلة لدرجة إقبال الأمة على التعليم بأقسامه السابقة كل في جهته " بلدته أو قريته " [1]

فتح معهد عبد الحميد بم باديس :

إن فتح هذا المعهد كان لعدة أسباب منها مواصلة الدراسة بعد إتمام التلاميذ الدراسة في المدارس الابتدائية والرغبة بعد ذلك في مزاولة الدراسة في الصف الأعلى، وكذلك تكريما من أعضاء الجمعية لرائد النهضة الجزائرية عبد الحميد بن باديس أرادوا أن يفتحوا هذا المعهد باسمه وتخليدا له ويكون بمسقط رأسه قسنطينة وبالفعل تحقق هذا الأمل وكان فتحه عام 1947م

ونظرت الجمعية لهذا المعهد بأنه : " تاج لمدارسها، وغرة لأعمالها، بل أعظم أعمالها خطرا، وأعلاها قدرا، وأكثرها نفعا، لأنه يعمل على تهيئة أبناء الأمة، لأن يصبحوا، قادة لحركاتها، ومسيرين لنهضتها في جميع الميادين الحيوية فمنه تخرج البعثات العلمية التي ترسلها الجمعية إلى معاهد وجامعات الأقطار العربية في المشرق والمغرب، ومن صفوته يتخرج الوعاظ والمرشدون، والخطباء والكتاب والمعلمون الذين تعتمد عليهم الجمعية في تأدية رسالتها في نشر التعليم العربي، والإصلاحي الديني والاجتماعي، ومحاربة الخرافات والشعوذة " ([2])

والتحق التلاميذ بعد فتح المعهد وبلغ عددهم في العام الدراسي 1950م 1951م 702 طالبا، ثم وصل العدد عام 1955م إلى 913 طالبا، وكانوا موزعين بحسب السنوات لأن الدراسة كانت تتم بأربع سنوات :

السنة الأولى 310 طالبا .

---

[1] - البصائر السنة الثانية عدد 8 سبتمبر 1937م ص، 5 وينظر رابح تركي، المرجع السبق، ص، 269 و270، وينظر أيضا أحمد الخطيب، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر، ص، 203ز

[2] ــ رابح تركي، ص، 288.

السنة الثانية 284 طالبا والسنة الثالثة 227 والسنة الرابعة، 92طالبا، وكان التلاميذ يتخرجون منه بشهادة الأهلية، وتخرج منهم عام 1955م 40 طالبا .

المساجد : اتخذت الجمعية من المساجد التعليم المسجدي، والهدف من ورائه تعليم اللغة العربية وحفظ القرآن الكريم، وبعث الثقافة الإسلامية العربية في الجزائر.

وكان علماء الجمعية يعقدون ندوات ودروس في رحاب المساجد بين أوقات الصلاة إيمانا منهم أن المسجد رسالة تهدف إلى محاربة الاستعمار لكن بطريقة مباشرة عن طريق التعليم الديني والإحساس بكرامة الإنسان وتعريفه بمبادئ الإنسانية مبدأ العدالة والحري، والمساواة ومكارم الإنسان العليا .

لذلك اتخذ علماء الجمعية المساجد منابر لإحياء التراث الإسلامي من قصص للأبناء وتاريخ الإسلام وعلم الاجتماع وتربية .

إن الجامع الأخضر بقسنطينة كان المركز الأول الذي أنطلق منه التعليم الإصلاحي بكل أبعاده ومناحيه الإنسانية والإلهية (الإسلامية) في الجزائر وقد كان تأثير ابن باديس في هذا المسجد بالغ الأهمية كان يتخذ منه جامعة لتخريج الرجال العظام . فقد ثابر عبد الحميد بنشاطه الدؤوب في التدريس فيه ونشر الوعي والقيام بدروس الوعظ طول النهار، بل كان المقر الرئيسي له وحتى للجمعية التي كان يتلقى منها – أي من الإدارة المركزية العاصمة – كل الرسائل والمسائل التي تتطلب حلا أو إمضاءً أو إبداء الرأي، أو النظر، والإخبار بالاجتماع وما يجري وما جرى الخ . بالإضافة إلى الردود في المسائل المعروضة له في شؤون الدين والدنيا وممارسة نشاط التعليم، ولم يكن هذا المسجد الذي اتخذه مكانا مستقرا له منذ زمن عقد الجمعية ونشأتها بل كان من قبل وجودها لما كانت فكرة، حيث بدأ النشاط فيه من عام 1913م

إلى غاية 1940م سنة وفاته . ([1]) والمواد الدراسة التي كانت تدرس في الجامع الأخضر تبعا للبيان التي نشرته جريدة البصائر عام 1936م أن التدريس، كان يمر في أربعة مراحل أو طبقات والمواد هي :

التفسير، الحديث، الفقه، العقائد، الفرائض، المواعظ، الآداب، الأصول، التجويد، النحو والصر ف، المنطق، والبلاغة، محفوظات ومطالعات، ودراسة الإنشاء، والحساب، والجغرافيا والتاريخ . ([2])

ويظهر لنا من خلال تدريس المواد أن التكوين المعرفي كان بصورة عامة في كل حقول المعرفة بأنواعها الأدبية والفكرية والدينية مما يدل على أن المستوى كان يقابل مراحل التعليم الثانوي بأطواره الثلاثة الابتدائي والإعدادي والثانوي وفي صورة كلاسيكية.

وورد في بيان عن الحركة العلمية بالجامع الأخضر ونفقاتها أن الكتب المدروسة بالجامع الأخضر هي الموطأ، أقرب المسالك، الرسالة، ابن عاشر، والمفتاح والتنقيح، والسلم، والمكودي،، القطر، والاجرومية، والزنجاني، واللامية، والسعد، والجوهر المكنون، ومن ديوان الحماسة، ومن ديوان المتنبي، وآمالي الغاني، ومن مقدمة ابن خلدون .([3])

والمعلمون الذين كانوا يدرسون في هذا الجامع إلى جانب عبد الحميد بن باديس، عبد المجيد حيرش ([4]) وحمزة بكوشة وهم متخرجون من جامع الزيتونة المعمور بتونس . ومن كبار تلامذة الشيوخ، الشيخ بن أحمد دردور، بلقاسم الزغداني ([5]) إلى جانب هذا المسجد هناك مساجد أخرى وجوامع

---

[1] - احمد الخطيب، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، ص، 308.

[2] - البصائر، السنة، عدد 47 سنة 1936م ص، 5 .

[3] - المرجع السابق، ص، 5 .

[4] - واحد من رفقاء عبد الحميد بن باديس عمل في صمت وانتقل إلى رحمة الله في صمت، لقد كان مديرا لثانوية بن خلدون في عهد الاستقلال بالجزائر العاصمة قرب السيدة الإفريقية، يحكى عنه أنه كان صعب المراس متحكما في علوم اللغة من بلاغة ونحو وصرف وشعر وأدب .

[5] - ينظر، عمار الطالبي، ابن باديس، حياته وآثاره، جمع ودراسة / الجزء الثالث، نشر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ص، 229

أخرى كان لها الدور نفسه في الجزائر وسطيف ووهران وتلمسان وغيرها من المدن الجزائرية حيث تعلم في هذه المساجد عدد كبير من الطلبة الكبار في السن خاصة وكان له ما يقارب المستوى الثانوي، وتعلموا على الطريقة والكتب والمناهج المعروفة وقتذاك في جامع الأزهر بمصر وجامع الزيتونة، وجامع القرويين، وبعد وفاة عبد الحميد بن باديس انتقلت الدروس التي كانت تعطى بالمسجد الأخضر إلى مدينة تبسة، وأشرف عليها العربي التبسي، ولكن سرعان ما أعيدت إلى أصلها الأصيل في قسنطينة عام 1942م بعد أن استقرت الأوضاع بسبب الاضطرابات والظروف الحربية . ([1]) وللعلم أن هدف ابن باديس في حياته أراد أن يجعل الجامع الأخضر بمثابة الجامع الأزهر أو الجوامع المشهورة في الأمصار الإسلامية حيث يستنتج من قوله حين قال : " لابد للجزائر من كلية دينية يتخرج منها رجال فقهاء بالدين يعلمون الأمة أمر دينها، واستطيع أن أقول أن نواة هذه الكلية هم الطلاب الذين يردون على الجامع الأخضر بقسنطينة من العمالات الثلاث فلو أن الجمعية سعت لتوسيعها بترسيم معلمين، ورعاية مدة المتعلمين ووضع خطة التعليم لقامت بأعظم عمل علمي ديني للأمة في حاضرها ومستقبلها "([2])

النوادي :

إيمانا من الجمعية أن النوادي التي أنشأتها في كل المدن والقرى الجزائرية جنبا إلى المدارس والمساجد والتي هي بمثابة مراكز ثقافية دينية تعمل كوسيط بين المدرسة والمسجد وأنها الحارس لقيم الثقافة الجزائرية حيث نظرة الجمعية للمجتمع الجزائري أو الأمة الجزائرية أنذاك انها ثلاث طبقات، طبقة تمثل صغار الأمة وتضمها المدارس، وطبقة تمثل كبار الأمة وتضمها المساجد وطبقة تمثل الشباب فتضمها هذه المراكز لتحافظ على

[1] - تركي رابح، مرجع سابق، ص، 228.، أحمد الخطيب، مرجع سابق، ص، 209 .

[2] - عمار الطالبي، ابن باديس حياته وآثاره، ج، الثالث، ص 228

توازنها وتحفظهم من آفات المجتمع الأوربي على الخصوص الذي كان يمثله الاستعمار حيث فتح مخامر وملاهي وبيوت دعارة لتوسيخ سلوك الناس وتمسخهم، فلم تجد الجمعية هؤلاء لا في المساجد، ولا في المدارس فلا بد أن تجد لهم بيوت علم ودين لكن في صورة نوادي تصقل مواهبهم وتعمل على تربية نفوسهم تربية روحية ودينية ووطنية وتحافظ هويتهم الجزائرية من لغة عربية ودين إسلامي ووطن هو الجزائر وراحت الجمعية تقوم بتنظيم جمعيات ممثلة في جمعيات رياضية، الكشافة الإسلامية جمعيات ثقافية وفنية وهذا لتحقيق أهداف منها :

- حماية الشباب من حالة الانحراف والتحلل الخلقي والسياسي وفساد شخصيتهم الجزائرية .
- استغلال طاقة الشباب لما فيه النفع والخير للبلاد وللأمة الإسلامية .
- تربيتهم تربية عربية أسلامية حتى لا يجرفهم التيار الفرنسي

وفي خاتمة هذا المقال أن هناك كثير لم نقله عن جمعية العلماء المسلمين خاصة في دورها الإصلاحي الذي شمل كل نواحي الحياة الإنسانية في أبعد صورها الوطنية بالنسبة للجزائريين والقومية بالنسبة للعالم الإسلامي، والعالمية بالنسبة للإنسان في كل مكان وأيا كان الذي كرمه الله عز وجل برسله وكتبه وخير كتاب القرآن الكريم وبالقراءة اقرأ .

وما يمكن قوله أيضا عن جمعية العلماء أنها استطاعت بفضل أعضائها الأبرار الأخيار الذين حملوا مشعل المعرفة والعلم والدعوة إلى خير الله وهو الإسلام الذي كرم الله به الإنسان أن تقدم مئات من الشهداء في الثورة الجزائرية المباركة بفضل التعليم الحر الذي غرس في النفوس المبادئ الوطنية والهوية الإسلامية كما تمكنت الجمعية من تكوين مئات الإطارات والكفاءات للجزائر اعتمدت عليها في عهد الاستقلال وكانت الحقيقية في تعريب الإدارة والتعليم . وتحملت مشاق المهمة ولا زالت .

إن هذا الاعتراف له ما يبرره، فقد نجد من المستعمر نفسه وخاصة قادة الاحتلال الفرنسي من كان يؤيد ويناصر جهود جمعية العلماء، ومن كان يعارض هذه الجهود لأنها وقفت في مخطاطنه وأهدافه خاصة المستعمر، ومع ذلك لا تنقض من قيمة هذه الجهود ونبلها الأخلاقي وتساميها الإنساني في أبعد إنسانية الإنسان .

فالموقف الذي يرفض جمعية العلماء وجهودها المبذولة في ميدان التعليم، هو الموقف الذي تمثله الإدارة الفرنسية والمستوطنين الأوروبيين في الجزائر، حيث وقفوا ضد نشاط الجمعية وأهدافها، وخاصة وقفوا ضد تعليم اللغة العربية والدين الإسلامي لأن في نظرهم، - نظر قادة الاحتلال الفرنسي – أن لا خضوع ولا سلطة وسيطرة على الجزائريين إذا لم يتم القضاء على مقومات الأمة الجزائرية من لغة ودين وهوية وطنية وهذا رأي قادة الحرب وقتذاك في الجزائر أما الفريق الذي أيد جهود الجمعية وأثنى عليها يتمثل في بعض رجال الفكر والثقافة الديمقراطيين الفرنسيين، وأغلبهم من سكان فرنسا حيث أشادوا بجود الجمعية وأيدوا نضالها وكفاحها الذي يقوم على تنوير عقول الناس وإنارة الطريق الحضاري أمامهم، والحفاظ على خصوصيات الشعب الجزائري فعلى سبيل ذلك ما أعلنه الأستاذ (جاك مادول) Jaques Madoul حين قام بزيارة للجزائر ضمن وفد فرنسي عام 1954م فقال: "أن أغرب شيء رأيته واستوجب دهشتي الشديدة هو أن اللغة العربية التي هي لغة الأغلبية العظمى من سكان القطر الجزائري تعتبر لغة أجنبية وهذا هو الأمر الذي جعل المسلمين من رجال جمعية العلماء وغيرها، ينظمون بجهودهم الخاصة وعلى حسابهم تعليم الأمة لغتها " وقال أيضا : "كنا ننتظر من الإدارة أن تعترف على الأقل بفائدة هذا العمل وحسن جدواه، وأن تظهر نحوه شيئا من العطف والمجاملة لكن تأكد لدينا أن العمل على عكس ذلك، وأن هذه المدارس الحرة هي موضع مراقبة صارمة،

ومعاملة شعارها سوء النية،" [1] وقد أبدى رئيس الوفد رأيه والذي هو "ميتران" والمتمثل في تقدير جهود الجمعية وعملها الدؤوب في نشر العلم والتعليم وتكوين مؤسسات تربوية وتعليمية ونوادي، ومعاهد، فقال : "رأينا التعليم الحر الذي تقوم بنشره جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلمنا أن هذه الجمعية تشرف على ما يزيد على 150 مدرسة، وأنها تعلم قرابة 45 ألفا من البنات والبنين تنتشلهم من بين أيدي الجهل والإهمال فنحن لا يسعنا إلا أن نثني الثناء الحار على هذا المجهود الصالح الذي تقوم به هذه الجمعية " وقال : "لقد خرجنا بحقيقة لا غبار عليها ألا وهي أن الدولة، تعمل على قتل اللغة العربية وعلى تحطيم الدين الإسلامي، وعلى تجهيل الأمة والعلماء المسلمون يعملون في خط مناقض للخط الحكومي فهم يقومون بالجهود المحمودة، لإحياء الإسلب'بام وتطهيره من الخرافات، ونشر اللغة العربية، ورفع الأمية عن الأمة غير مبالين بالعقبات ووسائل الزجر والتنكيل" ([2])

هذا ونجد الشيخ الرئيس محمد البشير الإبراهيمي يتكلم عن مجهود الجمعية ويصف نشاطها ويدافع عنها ضد خصومها وأعدائها وكل من يقف كحجرة عثرة في طريقها يقول فيها هذا الكلام المكنون المرصع بجواهر ومحاسن اللفظ البديع والمعنى البليغ : " هذه الحركة العلمية الجليلة القائمة بالقطر الجزائري هي الأساس المتين للوطنية الحقيقية، وهي التوجيه الصحيح للأمة الجزائرية، فغايتها التي ترمي إليها هي تصحيح القواعد المعنوية، من عقل وروح، وفكر وذهن، وتقوية المقومات الاجتماعية من دين، ولغة، وفضائل، وأخلاق، وتلك هي الأسس الثابتة التي بنيت عليها الوطنيات في ألأمم، هذه حقيقة لا يماري فيها إلا مكابر، وهذه الحركة التعليمية لم يضع أصولها العلمية، ولم ينظم قوافلها ولم يحم حماها من كل دساس وكل

[1] - البصائر، عدد 27 م السنة السابعة، 21 مايو سنة 1954م ص، 1 وينظر رابح تركي، مرجع سابق، ص، 231.

[2] - نقلا عن رابح تركي، مرجع سابق، ص، 232.

خناس، إلا جمعية العلماء ولا يعلى بناءها، ولا يرفع سمكها في المستقبل إلا جمعية العلماء . "[1]

هكذا إذن : كانت الجمعية، وهكذا كان أعضاؤها جنود مجندة لغاية سامية تعليم الإنسان مبادئ الحرية والعدل والمساواة والفضيلة وكل أنواع الخير وأيضا تنشد من وراءه تحقيق إنسانية الإنسان في أعلى مراتب سموها الإنساني.

[1] - البصائر عدد 54 السنة الثانية، السلسلة الثانية ن 25 أكتوبر 1948، ص، 1 وينظر رابح تركي، مرجع سابق، ص، 232، وص، 233 .